الدّاعيات والخطاب الدّيني في الفضائيّات العربيّة الدّينيّة المتخصّصة

د .هاجر منصوري

المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات

بزغوان–تونس

المقدّمة:

انتشر البثّ التّلفزي عبر الأقمار الصناعيّة في العالم العربي على إثر الثّورة التكنولوجيّة في مجال الاتّصال والإعلام التّي شهدها عالمنا المعاصر منذ نهاية القرن الماضي. واتّسعت القنوات الفضائيّة العربيّة بشكل ملحوظ حتّى عدّت من أهم وسائل الاتّصال الجماهيري في العصر الحاضر. وما فتئت التخصّصات الإعلاميّة تجتاح هذه القنوات الفضائيّة بعد تناسلها، فأصبحنا نتحدّث عن قنوات خاصّة بالتّربية وأخرى بالثّقافة وغيرها بالأفلام إلى ما سواها من التخصّصات المختلفة. وفي غمرة التخصّص الإعلامي تسرّب الخطاب الدّيني إلى هذه الفضائيّات، وأضحت هناك فضائيّات دينيّة متخصّصة، لم تكتف بمجرّد بثّ برامجها بل شرعت في منافسة القنوات الأخرى بنفس الشروط والمقاييس في الإثارة والتسويق الإعلاميّ، ولذا رأينا من الجدير أن نهتمّ بدراسة هذا النّوع من الفضائيّات لا سيما بعد أن شهدت في السّنوات الأخيرة مشاركة المرأة في برامجها وتحقيق استقطاب جماهيري هامّ.

وسنركّز في دراستنا للفضائيّات الدّينيّة المتخصّصة على المشهد الدّعوي النّسائي من حيث قناة المرسِل وشبكة المحتوى، ونردّ اهتمامنا بهذه المسألة إلى كونها من أهمّ المواضيع المطروحة في راهن أيّامنا متى رمنا استكمال البحث في الدّور النّسائي العربي في الإعلام العربي، خاصّة بعد أن اتّضح لنا أنّ شاشات هذه الفضائيّات تعتبر من أعظم المنابر تأثيرا في النّاس فكرا وممارسة ناهيك أنّها تقدّم برامجها بوصفها الطريقة المثلى في تمثّل الإعلام المرئيّ للدّين، بما هو نصوص أساسها القرآن والسنّة النّبويّة، وبما هو اجتهادات منطلقة من هذه النصوص أو على هامشها. وحريّ بنا أن نسائل هذا المشهد الدّعوي من خلال البحث من جهة أولى في حدود حضور المرأة وأهميّة دورها فيه وموقف " شيوخ الدّين" من هذا الحضور،

ومن جهة ثانية بتفكيك خطاب صاحباته وآليّات منطوقهنّ وصورهنّ والبحث في حدود انفلات هذا الخطاب عمّا هو سائد من صور نمطيّة للمرأة المسلمة.

1- الدّاعيات بين مطرقة الواقع الإعلامي وسندان الفتاوي:

تشير التّقارير السنويّة حول وضع البثّ الفضائي في البلدان العربيّة وخارجها، وفقا لما نشرته اللّجنة العليا للتّنسيق بين القنوات الفضائيّة العربيّة سنة 2015 إلى أنّ عدد القنوات الدينيّة يبلغ 55 قناة منها خمس قنوات حكومية والبقيّة خاصّة[1]. ولا تلترم هذه القنوات الدينيّة مادّة بعينها بل تتنوّع مشاربها الدّينيّة من قنوات متخصّصة في بثّ القرآن أو في الحديث والعلوم الدينية، أو في الإنشاد الدّيني وما سواه من الأغاني ذات النّزعة الدّينيّة، وأخرى قنوات طبّية ذات منحى ديني، وقنوات للاستشارات والفتاوى الدينية، وقنوات أطفال ذات توجّه دينيّ، وقنوات مزدوجة إعلانيّة ودينيّة وهي تجمع بين صور تجاريّة ترويجيّة لتلاوات قرآنيّة وخطب دينيّة تتنافى تماما مع مضمونها التّجاري[2]، ويبثّ معظمها باللّغة العربيّة أو ببعض اللّهجات المحليّة أو بهما معا، ناهيك عن البرامج المقدّمة بلغات أخرى مثل الإنجليزية.

ولا يختلف فيما نقدّره إعلام هذه الفضائيّات الدّينيّة المتخصّصة عن باقي أنواع الإعلام الأخرى إلاّ في مستوى اشتغاله الحصري بـ" الدّين "، إذ يصوغ شبكات البرمجيّة في فضائيّاته على أساسه، ويعدّ مضمون رسالته الأساسي، فيقدّم هذا النّوع من الإعلام الدّين في شكل خطاب مسموع ومرئيّ على اعتبار أنّ الدّين "طريقة النّاس في الحياة، أو الشّريعة التّي يرتضيها النّاس قانونا لحياتهم"[3]، وتستمدّ هذه الشّريعة سلطتها في الثّقافة العربيّة من القرآن بوصفه النّص الأوّل والمركزي ثمّ نصّ السنّة وما تولّد عنهما من نصوص الإجماع والقياس[4].

وتبعا لذلك يتنزّل الخطاب الدّيني في الإعلام المرئي لهذه الفضائيّات الدّينيّة منزلة الواسطة بين المسلمين والنّصوص المذكورة آنفا، ويعمل عن طريق قناة المرسِل مقدّم البرنامج على توضيح " الإسلام" للمرسلين إليهم

---

[1] – أُنظر/ي في ذلك محتوى التّقرير على الموقع الإلكتروني التّالي: *http://www.asbu.net/article.php?artid=1439&lang=ar*، الاطّلاع عليه في 10/ 06/ 2015.

[2] – وذلك وفقًا للدكتورة ثريا السنوسي في بحث لها حول ملامح الفضاء الاتصالي الديني العربي، أُنظر/ي الموقع الإلكتروني التّالي: كمال (وسام): "الفضائيّات الدّينيّة منهج التّقييم في رمضان"، *http://www.shabab.alwaei.com/site*، 23/ 7/ 2013، الاطّلاع عليه في 3/ 8/ 2015.

[3] – أُنظر/ي في ذلك: أبو زيد (نصر حامد): **النصّ، السّلطة، الحقيقة، الفكر الدّيني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة**، الدّار البيضاء ، ط 2، 1997، المركز الثّقافي العربي، ص 15.

[4] – أبو زيد (نصر حامد): **النصّ، السّلطة، الحقيقة**، ص 19.

من المسلمين وغيرهم بعرض أحكامه وتشريعاته في مجالي العبادات والمعاملات، وبسط بعده الرّوحي وقيمه الأخلاقيّة. كذلك يقدّم هذا الخطاب قراءته للتّاريخ الإسلامي ويستخرج العبر المستفادة منه سواء من السيرة النّبويّة أو تاريخ الخلفاء أو تاريخ الإسلام المعاصر. وتمثّل هذه الواسطة عموما العقل البشري الذي يتمثّل أحداث التاريخ ويعتبر منها، ويفهم النّصوص التّشريعيّة ويستنبط منها الأحكام ويحدّد وسائل إيصالها والتّواصل بها مع الآخر أيّا كان جنسه أو دينه.

ويلفت انتباهنا في هذا الخطاب الإعلامي الديني المرئي على تنوّع برامجه في القنوات الفضائيّة الدّينيّة المتخصّصة، وتعدّد لغاته وإن كان معظمها يبثّ باللّغة العربية، أنّه لم يعد حكرا على الرّجال، بل أخذت المرأة تجتاحه على اعتبار أنّ فضاء الإعلام الدّعوي الدّيني فتحت أبوابه المغلّقة على مصراعيها لبنات جنسها حتّى يصبحن من صاحبات الخطاب الدّيني بعد أن كان ملكا مشاعا لمعشر الرّجال الذّين تولّوا ولسنوات خلت القول الفصل فيه على مدار البرامج اليوميّة والشّهريّة[1]، وخاصّة شهر رمضان الذّي يصبح للخطاب الدّيني فيه طابع مختلف عن سائر الأشهر الأخرى. ونظرا لقيمة هذا الشهر في الوعي الجمعي الإسلامي إذ يعدّ مناسبة زمنيّة فريدة يلتفّ حولها جميع أفراد الأسرة الواحدة ناهيك عن مسلمي العالم ومسلماته شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، فقد آثرنا أن نقصر النّظر في دراستنا لحضور المرأة في الفضائيّات الدّينيّة على البرامج الدّينيّة النّسائيّة المقدّمة في شهر رمضان 1436 الموافق لسنة 2015. وسنسعى من خلاله إلى النّظر في الخطاب النّسائي مرسِلا ومضمونا، حتّى نتبيّن دلالة حضور المرأة في هذه الفضائيّات وأبعاد التولّي النّسائي للخطاب الدّيني.

ونتبيّن من خلال تقصّينا لجميع برامج الفضائيّات الدّينيّة المتخصّصة في شهر رمضان للسّنة المذكورة، أنّ المرأة شرعت تحضر في هذه البرامج بوصفها داعية مع ما يسمّون بالدّعاة الجدد[2]، دون أن ينافس

---

[1] – نذكر بعض الأسماء من الرّجال الأعلام في هذا المجال في قناة إقرأ على سبيل المثال: سلمان بن فهد العودة، عائض القرني، وعمرو خالد، وطارق السويدان، محمّد العريفي، وعمر عبد الكافي ومحمّد العوضي ومحمّد عبده يماني وعصام البشير ومحمّد حسّان، ومحمّد حسين يعقوب، أبو إسحاق الحويني، وغيرهم...

[2] – وتشير خلود سعيد عامر في دراستها " المرأة في الخطاب الإسلامي المعاصر: إشكاليّات اللّغة والثّقافة، الفضائيّات الدّينيّة ومواقع التّواصل الاجتماعي أنموذجا"، إلى أنّ هذا المصطلح يستخدم " للدّعاة الذّين ظهروا في الفترة الحديثة وكانوا يتميّزون بأنّهم شباب ولا يلتزمون بالزيّ التّقليدي للمشائخ (من عمّة وقفطان) وأغلبهم لا يدرس في الأزهر ولم يكن المسجد أو الزاوية ساحتهم التقليديّة بل انتقلوا إلى الأندية الرياضيّة والأماكن العامّة والأهمّ الفضائيّات"، ص 1، الموقع الإلكتروني: *http://mominoun.com/pdf1/2015-02/54e322c8afcdf964419687.pdf*، بحث محكّم.

حضورها على مستوى الكمّ الدّعاة من الرّجال الذّين يحضرون فيما يربو على 40 برنامجا[1]. فالدّاعيات يسجّلن حضورهنّ فحسب على قناة " إقرأ" في أربعة برامج، وهنّ أربع أكاديميّات متخّصصات في الشريعة الإسلامية والدّراسات الإنسانيّة يقدّمن برامجهنّ مع مجموعة من البرامج الأخرى التّي حصدت بفضلها قنوات اقرأ الفضائيّة خاصّة على المرتبة التّاسعة بأعلى درجة مشاهدة وذلك فيما انتهت إليه نتائج الدراسات والأبحاث للفترة الأولى من رمضان 1436هـ[2]. وقد تنوّعت برامج هؤلاء الدّاعيات بين طرح قضايا عامّة تهمّ المسلم في حياته أو التخصّص في الشّأن النّسائي.

ومن فئة البرامج الأولى ذات الطرح العام، نجد برنامج كلّ من الخبيرة الأسريّة والاجتماعيّة بيان الطنطاوي التي تطلّ على جمهورها في الجزء الثاني من "بيّنات"[3] متحدّثة عن سيرة والدها الشيخ علي الطنطاوي وما تعلّمته منه في الجانب التّربوي والإنساني وأثّر في حياتها، كما تروي مواقف وعبر من حياته وتتطرّق إلى مواضيع اجتماعية هامّة تهمّ المسلمين وخصوصاً فئة الشباب. ثمّ الدكتورة والخبيرة التربوية نسيبة المطوع في مصافحتها اليوميّة لجمهورها في برنامجها "الله يسعدك" [4]، وهو **برنامج اجتماعي يذاع على قناة الرأي الكويتيّة**، تطرح فيه صاحبته مفاهيم التنمية البشريّة التّي تعالج سلوك الأفراد وتسعى إلى تطوير الذات، **كما تحّدد فيه مفهوم السعادة وطرقها من خلال الاقتداء بالرّسول.**

وأمّا من فئة البرامج المتخصّصة في الخطاب الدّيني النّسائي، فنجد برنامج "والذاكرات"[5] لصاحبته الدكتورة رفيدة حبش، وعنه تقول:" أتحدّث فيه عن تاريخ صحابيات لرسول الله سطّرن أروع المواقف التاريخية البطوليّة في خير قرون الدنيا وفي صحبة رسول خير البريّة، ويثبت بأنه لا فرق في البطولة بين رجل وامرأة،

---

[1] – أُنظر/ي في ذلك الموقع الإلكتروني التّالي: الزّهراني (طلال حمّود):" برامج تقدّمها داعيات وأكاديميّات متخصّصات"، *http://www.eshraqlife.net/24353.html*، الدمام، 8/ 7/ 2015، الاطّلاع عليه في 18/ 07/ 2015.

[2] – أُنظر/ي في ذلك المواقع الإلكتروني التالية:

الصّقير (عبد الله): "برامج متنوعة لـ«اقرأ»"، *http://www.okaz.com.sa*، 18/06/2015، الاطّلاع عليه في 20/ 06/ 2015. وأيضا: *http://www.alrai.tv/Program.aspx?id=44&lang=ar -، http://www.startimes.com/f.aspx?t=35552417*.

[3] – برنامج " بيّنات" تشاهدونه يومياً على قناة " اقرأ" في الساعة 17:00 (مكّة) – 14:00(GMT) ، ويعاد في السّاعة 09:30 (مكّة) – 06:3 (GMT)، ويتابع على الموقع التّالي: *www.youtube.com/watch?v=KNHjfNaUHhc*.

[4] – برنامج " الله يسعدك" تشاهدونه يوميا على قناة" اقرأ" في الساعة 20:00 (مكّة) – 17:00(GMT) ، ويعاد في السّاعة 02:15 (مكة) – 23:15 (GMT)، 11:30 (مكّة) – 08:3(GMT). ويتابع على الموقع التّالي: *www.youtube.com/watch?v=gO5oHpnrViU* .

[5] – يشاهد برنامج " والذّاكرات" يوميا على قناة اقرأ في الساعة 15:00 (مكّة) – 12:00(GMT) ، ويعاد في الساعة 01:30 (مكّة) – 22:30 (GMT). ويمكن متابعة البرنامج على الموقع التّالي: *https://www.youtube.com/watch?v=UzDo2M8Zjew*.

فالإسلام يصنع المعجزات، يصنع الأبطال رجالاً كانوا أم نساءً، ونتأكد فيه أن دور المرأة في الحياة ينبغي ألا يقلّ أبداً عن دور الرجل"[1]. ثمّ برنامج " تعلّمت منها"[2] للدّكتورة إلهام شاهين، أستاذة العقيدة والفلسفة بكلية الشريعة في جامعة الأزهر. وفيه تعرض سير مجموعة من النّساء العربيّات المتميّزات في حقول معرفيّة متنوّعة وعلى مدار حقب تاريخيّة مختلفة وفي دول عربيّة متنوّعة، مبرزة دور المرأة العربيّة وأهميّته في التّاريخ الإسلامي.

وتعكس البرامج الدّينيّة لهؤلاء الدّاعيات في الشّبكة الرّمضانيّة لسنة 2015، على تنوّع قضاياها، تجربة المرأة العربيّة في الإعلام الدّيني المرئي التي لا تشذّ عن سائر تجاربها الأخرى في جميع مجالات الفضاء الخارجي من ثقافة وأدب، سياسة وفنّ، اجتماع واقتصاد. وهي تجربة تتّسم بالاحتشام، إذ " بدأت الإذاعات المرئيّة والمسموعة – لا سيما القنوات الفضائيّة والصّحافة المكتوبة– بتوظيف المزيد من النّساء في بعض البلدان، غير أنّ ملكيّة وسائل الإعلام الإخباريّة السّياسيّة ظلّت– مع بعض الاستثناءات – حكرا يستأثر به الرّجال"[3]. وعليه فتجربة المرأة الإعلاميّة لا تشذّ عن سائر تجاربها الأخرى مقارنة بالرّجل الذّي حاز قصب السّبق في جميع المجالات الحياتيّة المذكورة آنفا في العالم العربي. ولا نشكّ في أنّ المرأة العربيّة تدرك تمام الإدراك هذه الوضعيّة، وهي تشحذ عزمها في ترجيح كفّة تمكينها من الفضاء الخارجي الذّكوري بجميع مجالاته بما في ذلك الإعلام[4] الذّي يعدّ هو ذاته مجالا حديثا في العالم العربي وفي تجربة رجاله إذ" تعود معرفة بعض العرب بالبثّ الفضائي المباشر إلى منتصف عقد الثّمانينات حيث كان في مقدور دول الغرب العربي التعرّض للبثّ الفضائي المباشر (...) وقد بدأ انطلاق العرب نحو البثّ التّلفزيوني الفضائي المباشر منذ عام 1991"[5]. وبعد هذا التّاريخ بعشر سنوات سنحت للمرأة فرصة الظّهور في البرامج الدّينيّة بوصفها

---

[1] – أُنظر/ي الموقع الإلكتروني التّالي: بقاش (يحي):" داعيات وأكاديميّات يقدّمن برامج دينيّة عبر قناة " إقرأ"،/www.alhayat.com، 13/ 7/ 2015، الاطّلاع عليه في 15/ 7/ 2015.

[2] – يشاهد برنامج " تعلّمت منها" يومياً على قناة اقرأ في الساعة 15:15 (مكّة) – 12:15(GMT) ، ويعاد في الساعة 01:45 (مكّة) – 22:45 (GMT)، 09:45(مكّة) – 06:45.(GMT) . ويتابع على الموقع التّالي: www.youtube.com/watch?v=YAcDAYOcClE.

[3] – النقّاش (فريدة): " النّوع الاجتماعي (الجنوسة) في الإعلام العربي"، **المرأة العربيّة آفاق المستقبل**، ص. ص 221– 237، عمّان– الأردن، منتدى الفكر العربي، 2010، ص 230.

[4]– وتشير ليلى الأطرش بأنّه " في عصر الفضائيّات العربيّة والطّفرة الحقيقيّة في منذ منتصف التّسعينات، فقد صار مشهد " الإعلاميّة " في مناطق الخطر أمرا عاديّا. وتجاوزت نسبة العاملات في أقسام الأخبار تحريرا ومونتاجا وإنتاجا وتقديما 70% في محطّة الجزيرة أو العربيّة بل ترأّست فتيات في الثّلاثين دائرة الأخبار والبرامج"، " صورة المرأة في الإعلام"، ص. ص 239– 246، ص 240.

[5] – محمّد الجمّال (راسم): **الاتّصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة**، القاهرة، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، ط 2006، ص 134.

داعية ومفتية، وتعالت جرّاء هذه التّجربة أصوات دارسين ودارسات للمشهد الإعلامي الدّيني تثمّن الأداء النّسائي، وتدعو إلى التّكثيف من تجربة الدّاعيات إعلاميّا لاسيما أنّ للمرأة فيها حضورا لافتا في الدعوة والإفتاء[1] ".

وتنخرط تمثيليّة الدّاعيات في الفضائيّات الدّينيّة المتخصّصة وبرامجها فيما تعرفه الدّول العربيّة راهنا من واقع إعلامي يتأثّر بالسّياق الاقتصادي والاجتماعي[2] ناهيك عن السّياق الفكري العام وخطابه الدّيني السّائد. وهذا الواقع الإعلامي يقضي لا محالة بحضور نسائي دعوي ضعيف ولكنّه متوافق في الآن ذاته مع ما تعرفه المرأة من فرص تمكين تتاح لها في مجالات متنوّعة، وإن بدرجات متفاوتة بين البلدان العربيّة ولا سيما في بلدان الدّاعيات مثل الكويت وسوريا ومصر، إذ تبرز الدّراسات النسويّة العربيّة تباينا في" أوضاع المرأة في الدّول العربيّة بشكل حادّ فقد أقرّت الحقوق السّياسيّة والمدنيّة للمرأة في بعض الدّول العربيّة منذ عقود طويلة ولكنّها لم تقرّ حتّى الآن في دول عربيّة أخرى(...). وتتباين أوضاع المرأة كإعلاميّة بالدّرجة نفسها "[3].

ولا نشكّ في أنّ لهذا الخطاب الدّيني السّائد حرّاسه من شيوخ الأرثودكسيّة الإسلاميّة الذّين يتصدّون لتجربة الدّاعيات في الإعلام الفضائي سواء بالرّفض أو التّجريح، أمّا الرّفض فيتجلّى في الفتوى الصّريحة بحرمة حضور المرأة في المشهد الإعلامي[4]، وأمّا التّجريح فيتمثّل أوّلا في انتقاد شيوخ الفضائيّات وغيرهم لبعض الدّاعيات مثل الذي تعرّضت له الدّاعية السّوريّة رفيدة الحبش، إذ اتّهمت بإفساد المرأة وخلق خلافات

---

[1] – أُنظر/ي في ذلك ما ذكره نبيل بن عبد العزيز الحماد مدير عام قناة "اقرأ" الفضائية سابقاً في مقال العمودي (أحمد عليّ)، محسن (سميّة):" الدّاعيات السّعوديّات والفضائيّات.. الاقتراب الحذر!"، الموقع الإلكتروني التالي: -*http://www.onislam.net/arabic/fiqh-a-tazkia/fiqh*، 22/ 01/ 2007.

[2] – وعن السّياق الاقتصادي والاجتماعي أوردت فريدة النقّاش ما يفيد بأنّ المجتمعات العربيّة" تتحكّم طبقة رأسماليّة في مقاليد الأمور بالبلاد العربيّة، ويؤدّي جناحها الطّفيلي والرّيعي دورا رئيسيّا إذ يكوّن الثّورات لا عن طريق توسيع القاعدة الإنتاجيّة في الزّراعة والصّناعة والخدمات وإنّما عن طريق عوائد النّفط أو الوكالة للشّركات عابرة القارات والمضاربة في البورصة ونبا موال البنوك العامّة وتربيا إلى الخارج والمتاجرة في العقارات وصولا إلى عمليّات تبييض الأموال فيما تعاني الرّأسماليّة الوطنيّة صغيرة ومتوسّطة صعوبات جمّة وتتعرّض للإفلاسات ويتدهور حال الطّبقات الشعبيّة وما بعد يوم"، النقّاش (فريدة): " النّوع الاجتماعي (الجنوسة) في الإعلام العربي"، **المرأة العربيّة آفاق المستقبل**، ص 226.

[3] – محمّد الجمّال (راسم): **الاتّصال والإعلام**، ص 127.

[4] – أُنظر/ي في ذلك: نقلا عن: عامر سعيد (خلود): " المرأة في الخطاب الإسلامي المعاصر: إشكاليّات اللغة والثقافة، الفضائيّات الدينيّة ومواقع التواصل الاجتماعي أنموذجا"، مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، فئة الأبحاث المحكّمة، مقطع مرئيّ يوتيوب بعنوان " أبو إسحاق الحويني العلم للرّجال فقط والنساء جهلة ولا يفقهون شيئا"، ورابطه *https://www.youtube.com/watch?v=s1bS4gitoS0&feature=related* ، 02/ 04/ 2011.

في الأسرة بسبب مواقفها من بعض القضايا الاجتماعيّة المتعلّقة بالنّقاب والطّلاق والدّور الاجتماعي للمرأة[1]، وثانيا في دعوة هؤلاء الشيوخ أصحاب القنوات الفضائيّة إلى ضرورة التزام الضّوابط الشرعيّة في قنواتهم وذلك بإقصائهم للنّساء المتبرّجات من منظورهم الفقهي، وفي هذا السّياق طرحوا مسائل لها صلة بهيئة الدّاعية مثل حكم كشف وجهها والنّظر إليها، وعدم اختلاطها بضيوفها الرّجال أو جلوس بعضهم بجانب بعض بصورة من الصّور "القبيحة". وقد اعتبروا هذه الضّوابط مبدئيّة لا مرحليّة لأنّ من مقرّرات الشريعة فيما يذهبون إليه أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان وأمّة، وأنّ أيّ طعن فيها إنّما طعن في الإسلام من حيث لا يشعر المتكلّم[2].

وتشفّ هذه المواقف من الحضور النّسائي في المشهد الفضائي الإعلامي الدّيني عن إشكال حقيقيّ تعرفه الفتوى الإسلاميّة وشيوخها في هذه المسألة، وعن حرج تشهده الدّاعيات في المجتمع العربي الإسلامي والإعلام المرئي يضع تجربتهنّ بين سندان الواقع الإعلامي العربي ومطرقة الفتاوي الإسلاميّة، فضلا عن كونها تعكس أزمة وعي لدى غالبيّة مفكّري الإسلام والشّيوخ منهم خاصّة الذين لم يدركوا حقيقة التحوّلات التي يشهدها العالم العربي الإسلامي وضرورة تجديد فهمهم للدّين، و" على المدى الطّويل، لا يمكن إيقاف تغيّر المجتمعات ولا يمكن إيقاف تغيّرها في الاتّجاه الّذي اقتضته صيرورة الخروج من الدّين، وقد سارعت العولمة في نسقها. ولم توقف أفكار المعارضين لتحرّر المرأة سير التّاريخ، فخرجت المرأة إلى الفضاء العامّ لأنّ التّاريخ لا يسير بالفتاوى"[3].

---

[1] – أُنظر/ي في ذلك الموقع الإلكتروني التّالي: *jawahir.echoroukonline.com/articles/2434.html*، *مقال* صحفي بالجريدة حول الدّاعية السورية رفيدة الحبش، حاورتها سعادة (سميّة)، وفيه هذه النّقاط التالية: النقاب ليس فرضا ولا سنّة والنبيّ أمر المنقبات بكشف وجوههن في الإحرام. وقد خضعت للمساءلة الأمنية لأنّها كانت تعلّم النساء القرآن والسيرة النبوية. 30/ 08/ 2015، الاطّلاع عليه في 30/ 08/ 2015.

[2] – أُنظر/ي في ذلك الموقع الإلكتروني التّالي: -*http://www.onislam.net/arabic/fiqh-a-tazkia/fiqh*، العمودي (أحمد عليّ)، محسن (سميّة):"الدّاعيات السّعوديّات والفضائيّات.. الاقتراب الحذر!"، وفيه بيّن صاحبا المقال أنّ الدعوة التي أطلقها بعض العلماء السعوديين لظهور داعيات عبر شاشات الفضائيات جدّد الخلاف حول إمكانية هذا الظهور وجدواه، وتباينت وجهات النظر حيال هذا الأمر بين من يجوّز الظّهور بضوابط مثل عبد الله بن بيه، نائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وأستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وبين من لا يرى حرجا في ظهورها مثل عبد الفتاح إدريس، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، وعبد الحميد مدكور، أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بكلية دار العلوم، وبين من يراها فكرة مرفوضة مثل صالح بن علي أبو عرّاد، أستاذ التربية الإسلامية المساعد ومدير مركز البحوث التربوية بكليّة المعلمين بأبها، وبين من لا يعدّ ظهورها ضروريّا وهو رأي حياة بنت سعيد، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى...، 22/ 06/ 2007، الاطّلاع عليه في 30/ 08/ 2015.

[3] – أُنظر/ي الموقع الإلكتروني التّالي: ابن سلامة (رجاء) : فكرة " الثّوابت"، منشأها ودلالاتها ومآلاتها، *http://alawan.org/article14241.html*، 27/ 07/ 2015، الاطّلاع عليه في 27/07/ 2015.

وبالفعل فإنّ الشّيوخ الذين تقف فتاواهم حجر عثرة أمام الحضور النّسائي في المشهد الفضائي الإعلامي الدّيني إن بالرّفض او الاحتراز لم يمنعوا الدّاعيات من تقديم برامجهنّ أو استضافة أحد من الرّجال أو أن تكون الواحدة منهنّ ضيفة من الضّيوف النّجوم الذين لهم جماهيريّة كبيرة حتّى أنّهنّ يسهمن في زيادة الموارد الماليّة الناتجة عن الإعلانات في الفضائيّات الدّينيّة. وإذا كان حضور المرأة في المشهد الإعلامي المرئي الدّيني حقيقة لا يشق لها غبار فما حدود تمثيليّة الدّاعيات لنوعهنّ في عموم خطابهنّ؟ وما موقفهنّ من مجموع القضايا الخاصّة بالمرأة مثل العمل والمشاركة في جميع المجالات الحياتيّة بما في ذلك السياسيّة ناهيك عن قيم المساواة والحريّة وضرورة التّمكين النّسوي؟ وما مدى انفلات خطابهنّ في تصوّره وممارسته من التصوّر الذّكوري المهيمن على الخطاب الدّيني؟

2- خطاب الدّاعيات الدّيني والذهنيّة الذّكوريّة السّائدة:

لا مريّة فيما تقدّم من البحث أنّ المرأة الدّاعية فرضت حضورها في القنوات الفضائيّة الدينيّة المتخصّصة وحتّى غير المتخصّصة[1]، على الرّغم ممّا حفّ بهذا الحضور من جدل حول أصله وشكله، وأنّها تمكّنت من استقطاب جمهور من كلا الجنسين لا يستهان به. ووجدت من يثمّن حضورها على مستوى الإعلام ويدعو إلى عدم تغييبها لأنّ تغييب أدوارها المجتمعية المتعدّدة والمتجدّدة، يجعل الرجل في موقع احتكار للفضاء العام الذي تعتبر الصحافة امتدادا له، بينما من واجب الصحافة إظهار المرأة كفاعلة في محيطها القريب كما في الشأن العام[2]. ونلاحظ فيما تقدّمه من برنامج أنّ تمثيليّتها لجنسها والقضايا المتّصلة بها شملت برنامجين في حين تناولت صاحبتا البرنامجين الآخرين قضايا متنوّعة ومتفرّقة، الأمر الذي يدلّ على انفتاح خطاب الدّاعيات الدّيني على القضايا العامّة والتحوّلات الرّاهنة وعدم ارتهانه بمسائل تخصّ المرأة.

وإذ نتدبّر البناء الفكري للدّاعيات في تمثّلهنّ لصورة المرأة، حفرا في خطابهنّ الدّيني وآليّات اشتغاله سواء أكان شموليّا أم مختصّا بقضايا المرأة، فإنّنا نتبيّن أنّهنّ لم يستطعن الفصل في إعلامهنّ الدّيني عن المرأة بين الرّبط القسري بين جنس « Sexe » الذّكر أو الأنثى باعتباره معطى بيولوجيّا، والجندر « Gender »[3]

---

[1] – أنظر/ي في ذلك البرنامج الذي تقدّمه عبلة كحلاوي في القناة الفضائيّة mbc مصر.

[2] – أنظر/ي في ذلك: الموقع الإلكتروني التّالي:*http://www.hespress.com/medias/295246.htm* ، الرّاجحي (محمّد): الرامي يرصد الصور النمطية للمرأة في المجتمع والإعلام، 18/ 02/ 2015، الاطّلاع عليه في 03/06/ 2016.

[3] –" أستخدم مفهوم الجندر بداية في الساحة العربيّة تحت لفظ " الجنوسة" أو " الجنسانيّة" ومرادفات أخرى حتّى تمّ الإجماع على تعريفه تحت لفظ "النّوع الاجتماعي"، حوسو (عصمت محمّد)**: المصدر السّابق**، ص 13. ونشير إلى أنّ عددا من المنشغلين بهذه الدّراسات اقترحوا ترجمات مختلفة لمصطلح « Gender »، راجع في ذلك أيضا كلاّ من: الدبّاغ (مي) ورمضان (أسماء)**: النّوع الاجتماعي: نحو تأصيل المفهوم في العالم العربي واستخدامه**

بوصفه مقولة ثقافيّة سياسيّة اجتماعيّة تصنع تمثّل كلّ من الرّجل أو المرأة، وهو ربط يوجد بالضّرورة توافقات قسريّة تجعل التّطابق بين الجنس والدّور الاجتماعي أمرا طبيعيّا لا ثقافيّا، ويحسمن ظاهرة التّمييز بين الجنسين على أساس الطّبيعة البيولوجيّة[1]. وهذا الرّبط ترسّخت عقدته في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة وذهنيّتها الذّكوريّة منذ عصورها الوسيطة وما تزال سارية المفعول في حياتنا المعاصرة، وما انفكّ الخطاب العربي الإسلامي بما في ذلك الإعلامي يسلّم إعلاميّوه من الرّجال والنّساء بهذا الرّبط ويقصون أيّ دخل للطّرح الاجتماعي والثّقافي للمرأة في تأكيد هذه الفوارق[2].

ولئن لم تتحرّر الدّاعيات من المنطق الهوّيّ[3] القديم للمرأة الذي لم يسمح لهنّ بالتّمييز في خطابهنّ بين الجنس والدّور الاجتماعي فإنّ تحليلنا لخطابهنّ الإعلامي الدّيني يقوم على الحفر في المرجعيّة الذهنيّة لهذا المنطق الهوّيّ وتفكيك المطابقة فيه بين الجنس والدّور وفضح التباسهما، وذلك لما له من أثر في مستقبل الخطاب الإعلامي الدّيني ودوره في رفع الحصار الثّقافي الذّي تعاني منه المرأة. ومن أهمّ ما انتهينا إليه أن اكتشفنا سيادة أحكام الحجب والتّراتبيّة على الخطاب الدّيني في تعامله مع حضور المرأة في الفضاء الخارجي ومجالاته المتنوّعة، سواء في محتوى الخطاب النّسائي ذاته أو وفي صورة الدّاعية نفسها. فما الخلفيّات المفاهيميّة المتحكّمة في سنّ هذه الأحكام وتأبيدها وما أبعادها الحضاريّة في تمثّل صورة المرأة في الفكر الدّيني وخطابه؟

– أ– أحكام الحجب ومفهوم العورة:

تؤكّد جميع الدّراسات النّسويّة التّي تعتمد في مقاربتها البحثيّة على الجندر أنّه لا يوجد كائن ارتبط وجوده بالجسد مثلما هو الشّأن مع المرأة، على اختلاف الحضارات والمجتمعات والحقب الزّمنيّة[4]. وأهمّ ما فرضه هذا

في صوغ سياسات عامّة وفعّالة، ص. ص 11– 12. ومولود (أمغار): "محاولة لتأصيل مفهومين مؤطّرين للنّوع الاجتماعي: "الاختلاف التّفاضلي بين الجنسين" و"الهيمنة الذكوريّة"، 31 / 05/ 2012، الموقع الإلكتروني التّالي: *http://www.alawan.org*.

[1] – أنظر/ي تعريف المرأة في المعاجم التّالية: ابن منظور: **اللّسان**، الجوهري: **الصّحاح، تاج اللّغة وصحاح العربيّة**، الصّغاني: **العباب الزّاخر**. مرتضى الزّبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**. وأيضا الموسوعات، مثل موسوعة الفرنسيّين دني ديدرو Denis Diderot وجان لو ران دالمبير Jean Le Rond d'Alembert، أنظر في ذلك: Diderot (Denis) : *Encyclopédie*, « femme », CD 1/1.

[2] – وإن كان إلى اليوم من الدّراسات ما ترى للمعطى البيولوجي دورا أساسيّا في تحديد الفوارق بين الجنسين، أنظر في ذلك: موير (آن)، جيسيل (دايفد): **جنس العقل، الاختلافات الحقيقيّة بين الرّجال والنّساء**، إذ يقرّ الكاتبان في المقدّمة أنّه" حان الوقت لتفجير الأسطورة الاجتماعيّة القائلة بأن كلاّ من الرّجال والنّساء قابلين للتّبادل عمليّا، حيث كان سائدا أنّ هناك تساويا في كلّ الأشياء، إلاّ أنّ كلّ الأشياء ليست متساوية في حقيقة الأمر"، ص 7.

[3] – تعرّف الهويّة بأنّها مجموع الخصائص التّي تسمح بتعريف شيء معيّن تعريفا واضحا وصريحا، أنظر في ذلك : Mucchielli (Alex) *l'identité, que sais – je*, p 5.

[4] – أنظر/ي في ذلك: خلود (السّباعي): **الجسد الأنثوي وهويّة الجندر**، الرّباط، دار القلم للطّباعة والنّشر، ط 1، 2007، ص 5.

الارتباط على الخطاب الدّيني في تعامله مع المرأة أن قضى بحجبها عن جسدها وعن الفضاء الخارجي المحيط بها. والحجب مفهوم يرد في اللّغة بمعنى "حجب الشّيء يحجبه حجبا وحجابا وحجبه ستره"[1]، وفي الاصطلاح هو مجموعة من الأحكام في عبادات فقه الإسلامي ومعاملاته، تتّصل بالمرأة وجسدها، وتجعل الخروج عنها مدعاة إلى دخول صاحبتها دائرة " الحرام".

وترتبط هذه الأحكام في مجال العبادات بالصّلاة والحجّ، فتقضي بأن تصلّي المرأة متخمّرة سواء أكانت في بيتها[2] أو في المسجد[3]. وتقدّر أنّ مكوثها في البيت وصلاتها فيه أفضل لها من خروجها إلى المسجد[4] أو حضورها صلاة العيدين[5]، ناهيك عن إمامتها للصّلاة[6]، كذلك تسقط هذه الأحكام عن المرأة التّكليف في صلاة الجمعة[7]. وأمّا في الحجّ فهي تلزم المرأة آدابا معيّنة في لباسها أثناء أدائها لهذه الفريضة ومناسكها[8]. وفيما يتّصل بأحكام المعاملات فتظهر في ثلاثة مناح، أوّلا في لباس المرأة الذي يقضي بأن يغطّي كامل جسدها إلاّ الوجه والكفّين[9]. وثانيا في زينتها وما يرافقها من تشديد على عدم تغيير ما خلق الله عن طريق الوشم[1]

---

[1] – أُنظر/ي ابن منظور (ت 711 هـ/ 1311 م): **لسان العرب**، مادة " حجب"، 6 مج، بيروت، دار صادر للطّباعة والنّشر، ط 1، 1997.

[2] – ينقل أبو داود (ت 275 هـ/ 889 م) في سننه عن أمّ سلمة قولها:" تصلّي في الخمار والدّرع السّابغ الذي يغيّب ظهور قدميها"، باب في كم تصلّي المرأة، كتاب الصّلاة، ج 2، **السّنن**، 5 مج، إعداد البنداري (عبد الغفار سليمان) ، بيروت– لبنان، طبعة دار الجيل، ط1، 1992. والخمار للمرأة في تعريف ابن منظور، " هو النّصيف، وقيل الخمار ما تغطّي به المرأة رأسها، وجمعه أخمرة وخُمْر وخُمُر والخِمرُ بكسر الخاء والميم وتشديد الرّاء لغة في الخمار"، ابن منظور: **اللّسان**، مادّة " خمر".

[3] – ينقل النّسائي (ت 303 / 915 م) عن ابن عمر قوله:" قال رسول الله ايذنوا للنّساء باللّيل إلى المساجد فقال ابنه والله لا نأذن لهنّ (...) أقول قال رسول الله وتقول لا نأذن لهنّ" ، باب النّهي عن منع النّساء من إتيانهنّ المساجد"، كتاب المساجد، مج 1، ج 2، **السّنن**، 5 مج، 9 ج، دار الجيل بيروت، د ت ن.

[4] – يقول عمر بن الخطّاب:" صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها"، أبو داود: **السنن**، باب ما جاء في خروج النّساء إلى المسجد، كتاب الصّلاة، ج 1.

[5] – أُنظر /ي في ذلك ابن ماجه (ت 256 هـ/ 869 م)، كتاب إقامة الصّلاة، باب ما جاء في خروج النّساء في العيدين، مج 2،): **السّنن**، 6 مج، تحقيق وتعليق وتخريج معروف (بشّار عوّاد)، بيروت، طبعة دار الجيل، ط 1، 1998.

[6] – يرى الفقهاء انّ الرّجل هو الذّي يؤمّ المرأة دون أن تؤمّه وإن أمّت النّساء فرضا فلا ينبغي أن تتقدّمهنّ لأنّها رتّبت في الصّفوف الخلفيّة أبدا لا تفارقها. أُنظر في ذلك سنن أبي داود: **سنن**، ك الصّلاة، ب إمامة النّساء، ح أمّ ورقة بنت نوفل (2):" أنّ النبيّ (ص)(...) قال قرّي في بيتك فإنّ الله تعالى يرزقك الشّهادة"، ك الصّلاة، ج 1.

[7] – أُنظر/ي في ذلك أبي داود في حديثه عن طارق بن شهاب عن النبيّ:"الجمعة حقّ واجب على كلّ مسلم في جماعة إلاّ أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبيّ أو مريض". أبو داود: **السنن**، باب الجمعة للمملوك والمرأة، ك الصّلاة، ج 1.

[8] – أبو داود: **السنن**، باب في المحرمة تغطّي وجهها، كتاب المناسك، حديث عائشة:" كان الرّكبان يمرّون ونحن مع رسول الله (ص) محرمات فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه"، ج 2.

[9] – أبو داود: **سنن**، باب قوله تعالى:﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، كتاب اللّباس، تقول عائشة:" يرحم الله نساء المهاجرات الأوّل لمّا أنزل الله (...) شققن أكثف مروطهنّ فاختمرن به"، ج 3.

والتنميص[2] والتفليج[3]، أو تفاني المرأة في نعومتها والذّوبان في أنوثتها[4]، أو في المقابل تشبّهها بالرجلّ بأيّ شكل كان سواء في لباسها أو كلامها أو حتّى مشيتها وحركات جسدها. وثالثا في أحكام عدم اختلاط النّساء بالرّجال إلاّ ما كان خاضعا لشروط القرابة وآداب ما يسمح فيه بالنّظر إليهنّ.

وإذا كانت أحكام الحجب يستمدّها الفقهاء من فهمهم لآيات القرآن الإحدى والثّلاثين من سورة النّور والثّالثة والخمسين والتّاسعة والخمسين من سورة الأحزاب[5]، فإنّنا نزعم أنّهم قد وظّفوها بمعزل عن تركيبها البنيويّ، وسياقها التّاريخي الحاف بنزولها في سبيل حجب المرأة وتحجيبها. فاستدلّوا بالآية الإحدى والثّلاثين من سورة النّور وبما روته العديد من الصّحابيّات ولا سيما عائشة على تحجيب المرأة، وقرؤوها مع ما هو سائد آنذاك، حتّى لا تقدر على الانفلات إلى أيّ معنى آخر سوى المعنى الذّي أعطي لها، وهو تكثيف الأغطية على المرأة، والحال أنّها تتفتّق على معان أخرى على مستوى الشّرح اللّغوي، ومنها أنّ الله تعالى ذكر الخمار دون أن يجبر المرأة على تغطية الوجه أو الشّعر بالكامل وإنّما ألزمها بتغطية الجيب[6]، فضلا عن أنّه ورد ذكر الخمار فيها بوصفه جزءا من اللّباس التّقليدي للمرأة في زمان الرّسول، وحتّى الزّينة فلا توجد إشارة

---

[1] – " الوشم في اليد وذلك أنّ المرأة كانت تغرز ظهر كفّها ومعصمها بإبرة أو بمسلّة حتّى تؤثر فيه، ثمّ تحشوه بالكحل أو النّيل أو بالنّؤور والنّؤور دخان الشّحم، فيزرقّ أثره أو يخضرّ." ابن منظور: **المصدر السّابق**، مادة " وشم".

[2] – **المصدر نفسه**، مادة " نتف"، " النّتف نزع الشّعر وما أشبهه." وهي التي تنتف الشّعر من وجهها وخاصّة شعر حاجبيها.

[3] – **المصدر نفسه**، مادة " فلج"، " الفلج في الأسنان تباعد ما بين الثّنايا والرّباعيّات خلقة، فإن تكلّف فهو التّفليج".

[4] – وفي إطار التّوصيات التّجميليّة دعيت المرأة في استعمالها للطّيب، وهو أيضا وسيلة من وسائل الزّينة، أن تلتزم ما خفي ريحه إكراما لحاسّة الشّمّ عند الرّجل، وخوفا عليه من إثارته فيقعا الإثنين في ما لا يحمد عقباه، ولذا وجب عليها ألاّ تستعمل الطّيب إلاّ في إطار البيت

[5] – يقول تعالى:﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، **النّور** 24/ 31، وقوله تعالى:﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾، **الأحزاب** 33/ 53. وأكّدته السنّة فيما ينقل عن عائشة من قولها:" "خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطّاب فقال يا سودة (...) فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله إليه ثمّ رفع عنه وإنّ العرق في يده ما وضعه فقال إنّه قد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ"، البخاري: **الصّحيح**، كتاب التّفسير، باب قوله تعالى :﴿ لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ... ﴾، مج 3، ج 6.ويقول تعالى أيضا:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، **الأحزاب** 33/ 59.

[6] – ابن منظور: **اللسان**، مادة " جيب"، ويقال جيب القميص والدّرع، والجمع جيوب (...) وجيّبته جعلت له جيبا.

في الآية إلى حدودها وكيفيّاتها بل اتّخذ الفقهاء من المفردة مطيّة لغويّة ليركّبوا عليها كمّا هائلا وضخما من التّوصيات التّجميليّة وجميعها تدخل في باب التّفنّن في التّحكّم في جسد المرأة.

وكذلك الشّأن بالنّسبة إلى استدلال الفقهاء بالآية التّاسعة والخمسين من سورة الأحزاب إذا تجاوزنا شرحها اللّغوي إلى سياقها التّاريخي والاجتماعي، فلقد كان للفتوحات الإسلاميّة ونتائجها وقع حادّ في تحوير بنية النّسيج المجتمعي وهيكلته على نحو جديد أثّر بدرجة كبيرة وبطريقة مباشرة في وجود المرأة وحرّيّتها[1]. ويظهر ذلك من خلال تعدّد الجواري والإماء في الحضر[2] واستباحتهنّ للجميع[3]. وهو ما اضطرّ الرّجال إلى حجب الحرّة والتّشدّد في تحجيبها[4]، من باب التّمييز بينها وبين والحرّة، فكان الإمضاء الإلهي أن أمر الله الحرائر من المؤمنات بأن يرخين عليهنّ من جلابيبهنّ حتّى يقع التّمييز بينهنّ وبين الجواري فلا يتعرّضن للإيذاء[5]، ومثل هذه الأحكام نراها لا تهمّنا اليوم باعتبار أنّ القوانين التّي تنظّم العبوديّة ولّت وانقضت بانقراض هذه الأخيرة[6].

وبالإضافة إلى ذلك يستدلّ فقهاء الإسلام بالآية الثّالثة والخمسين من سورة الأحزاب على حجب جميع النّساء ومنع الاختلاط بين الجنسين على خلفيّة فرض "الحجاب" على نساء النّبيّ في الآية المذكورة، والحال أنّ الحكم الصّريح الوارد في حجب نساء النبيّ في نظرنا له ظروفه التّي أنتجته، وهي تتنزّل " في صلب مسألة النّفاق والأذى، ذلك أنّها تعالج من جهة قضيّة المنافقين والذِينَ فِي قُلوبِهِم مرض مثلما أنّها تعبّر بإلحاح عن التّذمّر النّبوي من هول الأذى الذي يظهرونه لشخصه ومن تحرّشاتهم ضدّه وضدّ نسائه، وأيّ عزل للقضيّة عن سياقها هذا يعدّ بدوره عمليّة تمويه"[7]. وقد كان لهذا الحكم تداعياته السلبيّة على الحضور النّسائي في الحياة العامّة آنذاك، إذ عمّم المسلمون حكم حجاب نساء النبيّ على سائر نسائهم ليكون حكما لجميعهنّ في كلّ برّ وفي كلّ آن.

---

[1] – كيّال (بسمة): **تطوّر المرأة عبر التّاريخ**، بيروت– لبنان، مؤسّسة عزّ الدّين للطّباعة والنّشر، 1981، ص 83.

[2] – الشّرفي (عبد المجيد): " الحجاب: مقاربات متعدّدة"، **المجلّة العربيّة لحقوق الإنسان**، ع 11، ص. ص 14– 15.

[3] – **المصدر نفسه**.

[4] – أمين (أحمد): **ضحى الإسلام**، 2 ج، بيروت– لبنان، دار الكتاب العربي، د ت ن، ج 1، ص 98.

[5] – أنظر/ي في ذلك الموقع الإلكتروني التّالي: *http://www.altafsir.com/Tafasir.asp?...0&LanguageId=1* : ويضمّ هذا الموقع التّفاسير القرآنيّة التّالية، وهي جامع البيان في تفسير القرآن للطّبري، الكشّاف للزّمخشري، مفاتيح الغيب للرّازي، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تفسير القرآن لابن كثير، وحتّى إجماع الأئمّة الأربعة (الحنفي، المالكي، الشّافعي، الحنبلي). ونقف في هذه التّفاسير على إجماع أصحابها على أنّ الجلباب الذّي يفسّر " الحجاب" نزل للسبب المتمثّل في تمييز النساء الحرائر عن الإماء كي لا يتعرّضن للأذى وليس في ذلك عفّة تذكر ولا طهارة ولا إخفاء للمرأة العورة.

[6] – ذويب (الأمين بن عبد السّلام): **الحجاب لباس الإسلام أم لباس الجاهليّة**، تونس، مطبعة التّسفير الفنّي، 2007، ص 55. ويذكر الأسباب المتفرّقة لنزول هذه الآية وهي عديدة ص. ص 63 – 64.

[7] – الأخضر (لطيفة): **امرأة الإجماع**، ، تونس، سراس للنّشر، 2001، ص. ص 95– 96.

ومتى بحثنا تاريخيّا في ظاهرة الاختلاط بين الجنسين قبل منعه، تبيّن لنا أنّ العرب في الجاهليّة لم يعرفوا منع الاختلاط بل كانت العلاقة بين الجنسين لا تخضع لتلك القيود التي يفرضها نظام الحجاب، إذ كانت المرأة تتمتّع بحرّيّة في الاتّصال بالرّجال والتّواصل معهم. وظلّ الحال على ما هو عليه في عصر النبيّ، تحيا المرأة العربيّة في قلب مجتمعها تعيش أحداثه ومستجدّاته وتتأثّر به وتؤثّر فيه[1]، وكان النّساء يقدمن على النّبيّ لمبايعته، ويحضرن جلساته ويشاركن في غزواته، ولو تدبّر الفقهاء هذا الأمر في صدر الإسلام لقرأوا الآية في ظرفيّتها ولما عمّموا أحكام عدم الاختلاط التّي ظلّت نافذة إلى حاضرنا. وهذه النظرة للمرأة " قديمة جدّا ولدت بعد انتهاء عصر الأمومة وحلول العصر الأبوي الذي أخذ يستند إلى منطلقات ذكوريّة[2]"، وقد عمل الفقهاء بحكم انتمائهم إلى العصر الأبوي على تأبيد هذه النّظرة لجسد المرأة وتقبّلها من بعدهم المختصّون على أساس قول صدق وتبنّتها الدّاعيات وروّجتها على أساس أنّها كذلك.

وعلى الرّغم ممّا تقدّم من حفريّات تكشف مسار صناعة أحكام الحجب في الفقه الإسلامي فإنّ هذه الأحكام ما تزال تأخذ طابع الإلزام على المرأة في التّعامل مع جسدها في عباداتها ومعاملاتها تحت شعار المرأة العورة التّي وجب أن تغطّي جسدها وتخفيه، لا أن تجمّله وتتشبّه فيه بالرّجل، ولا أن تصدر حسّا نفسا كان أو صوتا[3]. ومفهوم العورة في اللّغة يرد، بمعنى كلّ مكمن للسّتر[4]، ويطلق في الاصطلاح على كلّ ما يستره الإنسان من أعضائه حياء من كشفه[5]، وهو مفهوم يتلوّن ويتشكّل حسب عادات الشّعوب وأعرافها[1]،

---

[1] – أُنظر/ي في ذلك: كركر (عصمة الدّين): **المرأة في العهد النّبوي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1993، ص. ص 289– 320.

[2]– يوسفي (محمّد عبد الوهاب): **جسد الأنثى بين الخطاب الدّيني والخطاب الإعلامي**، بيروت، دار الطّليعة، ط 1، 2009، ص 32. ونقف في هذا الشّاهد على مصطلحين مهمّين هما العصر الأبويّ وعصر الأمومة أو الأموميّ،" النّظام الأموميّ يدلّ على تنظيم اجتماعيّ مبنيّ على النّسب الأمومي الخطّ وليس على سلطة النّساء. لكنّهما قد يتشابهان شيئا فشيئا دلاليّا، إذ يتّخذ " النّظام الأموميّ" معنى " الحقّ الأموميّ" وهو تصوّر الأمومة باعتبارها قادرة على تأسيس وضعيّة (...) وأيضا معنى سيطرة النّساء وهي فكرة تعود إلى نظريّة للسّلطة تمنحهنّ دورا مؤسّساتيّا مشابها لذلك الذي يملكه الرّجال في التّنظيم الأبويّ. يشكّل النّظام الأموميّ جزءا من فرضيّات نشوئيّي القرن التّاسع عشر، لا سيما د. هـ. مورغان من أجل تحليل التّطوّر التّاريخي للمجتمعات. في هذا المنظار قد يمثّل النّظام الأموميّ مرحلة " بدائيّة" من التّنظيم الاجتماعي تستبدل بالنّظام الأبويّ بعد ذلك"، أُنظر: إيشار (ن): " أمومي (نظام)"، **معجم الأثنولوجيا والأنتربولوجيا**، ترجمة وإشراف الصّمد (مصباح)، بيروت – لبنان، مجد، ط 1، 2006، ص 173.

[3] – وحتّى الصّوت الصّادر منها حرام، فإذا طرأ طارئ في صلاة المرأة وجب عليها أن تصفّق لا أن تسبّح مثل الرّجل حتّى لا يسمع صوتها، أُنظر في ذلك: ابن ماجه: **السّنن**، باب تسبيح الرّجل وتصفيق المرأة إذا نابها شيء في الصّلاة، كتاب إقامة الصّلاة، حديث أبي هريرة، مج 2.

[4] – ابن منظور: **المصدر السّابق**، مادة "عور".

[5] – وينقل عن بهز بن حكيم عن جدّه عن الرّسول قوله:" احفظ عورتك إلاّ من زوجتك أو ما ملكت يمينك"[5]. الترمذي: **السنن**، باب ما جاء في حفظ العورة، كتاب الاستئذان، مج 4.

وممّا يذكر أنّ عرب الجاهليّة يعتبرون المرأة عورة، وامتدّ هذا الموروث إلى الإسلام، وحكم تمثّل جسد المرأة في خطابه الفقهي إذ ينقل عن عبد الله بن عبّاس قوله:" المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشّيطان"[2]، وهذا الشّعار مايزال ينشر راياته إلى اليوم على جسد المرأة، ويستوجب حجبه كما لو كان طقسا من الطّقوس الملازمة للمرأة عند عبورها إلى الفضاء الخارجي شأنه في ذلك شأن طقوس الطّهارة والنّيّة واستقبال القبلة عند العبور إلى الصّلاة والحجّ في الإسلام. وقد انعكس مفهوم العورة وأحكام الحجب التّابعة له في الخطاب الدّيني عموما وفي سلطته التّشريعيّة على الدّاعيات اللّواتي لم تنفلت هيئتهنّ ومحتوى خطابهنّ والسّياق الحافّ بهنّ في الفضائيّات الدّينيّة عن هذا المفهوم وأحكامه كما لو كان من لزوم ما يلزم المرأة.

وتتجلّى أحكام الحجب للعيان على هيئة الدّاعيات والسّياق الحافّ بهنّ، فنرى أنّ جميعهنّ يلتزمن ما فرض عليهنّ من آداب في اللّباس تستبطن مفهوم العورة ومكمنه من جسد المرأة، دون أن يغفلن طبعا الكمّ الهائل من المحرّمات التّجميليّة. ونلاحظ أنّ معظمهنّ يقدّمن برامجهنّ بمفردهنّ دون أن يشاركهنّ في ذلك أحد من الرّجال سواء في مستوى التّقديم أو الاستضافة إلّا نسيبة المطوّع في برنامجها " الله يسعدك"، إذ استضافت رجالا ولكن من الشّباب الذّين يصغرنها سنّا، ممّا يعني أنّ استثناءها في حقيقته مدروس وخاضع لحكم الفصل بين الجنسين الذّي يعتقد فيه جميع الدّاعيات ويقرّونه في برامجهنّ. فلا مجال للاختلاط بين الجنسين في الفضاءات العامّة خوفا من اللّمس لأنّه وفقا لهذه الرؤية من أسرع أبواب الإثارة الجنسيّة[3]، حتّى ولو كان الفضاء أستوديو في مقرّ القناة أو مكانا خارجها.

ولم تكتف الدّاعيات بتطبيق أحكام الحجب عند حدود هيأتهنّ والسّياق الحافّ بهنّ بل ضمّنّه خطابهنّ، وفيما يتّصل باللّباس، عدّت إلهام شاهين "الحجاب" ممّا "يجمل" بالنّساء لبسه [4]، وأشارت بيان الطّنطاوي في

---

[1] – ويعرّف العرف بأنّه:" عادة اجتماعيّة أو سلوك تتعارف عليه الجماعة وتراعيه وليس له صفة الإلزام القويّ أو صفة القاعدة القانونيّة"، حجازي (سمير سعيد)**: معجم مصطلحات العلوم الانسانيّة ونظريّة الثّقافة**،، القاهرة، مكتبة ابن سينا، ط 1، 2006، ص 45. وتشير المصادر التّاريخيّة فيما يؤكّده الأمين بن عبد السّلام ذويب أنّ الرّجال والنّساء في الجزيرة العربيّة والشّرق الأوسط وخاصّة الأثرياء والنّبلاء منهم كانوا يلبسون ثيابا تغطّي رؤوسهم ومعظم أجسادهم وذلك منذ آلاف السّنين، وحتّى أخبار الجاهليّة فهي تؤكّد الفكرة القائلة بتأصّل الخمار لدى النّساء العرب وأنّه كان جزءا أساسيّا من لباس المرأة المشركة قبل الإسلام، وينقل عن ثعلبة ممّا أنشده قوله: ثُمَّ أَمَالَتْ جَانِبَ الخِمِرِّ، وتواصل لباس المرأة للخمار إلى ما بعد مجئ الإسلام، ذويب (الأمين)**: الحجاب لباس الإسلام أم لباس الجاهليّة**، ص 54.

[2] – الترمذي: **السّنن**، ب بلا ترجمة، كتاب الرّضاع، مج 2.

[3] – نقلا عن الخوري (فؤاد إسحاق)**: إيديولوجيا الجسد، رموزيّة الطّهارة والنّجاسة**،، بيروت– لبنان، دار السّاقي، ط ط1، 1997، ص 78.

[4] – أُنظر/ي: برنامج إلهام شاهين " تعلّمت منها"، ح 20، وذلك حينما أوردت قولها " كثير جدّا من يلبسن الحجاب وهو جميل وكثير جدّا من ينتقبن وهذا جيّد".

إطار تقديمها لسيرة أبيها أنّ تخلّي النّساء عن " حجابهنّ" من المصائب التّي أشار إليها والدها[1] الذّي كان يربّيها وأخواتها على اتّباع " ما يريده الله في المظهر والمخبر"[2]. وأمّا فيما يتّصل بالاختلاط بين الجنسين فقد طرحت رفيدة الحبش هذه الظّاهرة وأحكامها في الحلقة السّابعة من برنامجها " والذّاكرات" حينما عدّت الاختلاط واقعا لا مفرّ منه جرّاء التحوّلات الاجتماعيّة الجديدة وأنّ الأمر يقتضي مواكبته في ظلّ احترام أدبيّات التّواصل إلى أن تحين الفرصة المؤاتية إلى تصحيح المسار والاستجابة إلى قوانين الفصل بين الجنسين في الفضاءات العامّة[3]. وأشارت صاحبة " البيّنات" في إطار حديثها عن سيرة والدها أنّ عمّتها ميمونة كانت أحيانا تدخل على أصدقاء أبيها فتنشد الأشعار وتشترك معهم في الحديث مستدركة القول بأنّهم " كلّهم في عمر أبنائها وكانت كبيرة العمر"[4] وذلك من باب التّأكيد على ضرورة احترام نظام الفصل بين الجنسين إلاّ إذا كانت المرأة طاعنة في السنّ ومن غير المرغوبات فيهنّ للزّواج، وأشادت من جهتها في إحدى حلقات برنامجها بما فعله والدها لمّا كان يدرّس البنات إذ رفض بعد ذلك تدريسهنّ وشنّ حملات ضدّ تدريس الرّجال لهنّ[5].

وعموما فما ورد في خطاب الدّاعيات وما بدا في هيآتهنّ وتجلّى في السّياق الحافّ بهنّ إنّما يخضع لأحكام الحجب المدروسة فيما سبق من البحث، ويؤكّد أنّ الدّاعيات لم ينفلتن ممّا أثقل به المجتمع العربي الأبوي الإسلامي كاهل المرأة حتّى تخدم الرّجل بمجموعة من التّوصيات يعبّر بها عن سلطته الذّكوريّة التّي أخضع المرأة لها من خلال السّيطرة على جسدها نظراتها كلامها وسلوكها. وقد يتبادر إلى ذهننا أنّ الدّاعيات إذ يحثثن المرأة على اقتحام الفضاء الخارجي قد أصّلن لهذا التّمكين وضربن لها فيه موطن قدم راسخة، بل هو تمكين " محجّب" محكوم كما جسد المرأة بمفهوم العورة، ذلك أنّهنّ في خطابهنّ حول المرأة وإقرارهنّ بأحكام الحجب ما يزلن يروّجن لثقافة التّمييز بين الجنسين في التّعاطي مع الأجساد وفضاءاتها، بين أجساد أنثويّة محجوبة وذكوريّة غير محجوبة وفضاء يتوزّع إلى نوعين خارجي وداخلي، عامّ وخاصّ، يكون الخارجيّ والعامّ

---

[1] – أُنظر/ي: برنامج بيان الطّنطاوي " بيّنات"، ح 8، إذ تذكر أنّ " وله مقالة يتحدّث فيها عمّا سيقع في سوريا بعد ستّين عاما عندما بدأت البنات تتكشّف نبّه إلى ذلك وحينما بدأ الاختلاط نبّه إلى خطورة هذا والانحراف في الحكم وصلة الرحم...".

[2] – أُنظر/ي: برنامج بيان الطّنطاوي " بيّنات"، ح 30، إذ تذكر أنّه كان يربّيها وأخواتها على ما يجب أن يستر المرأة فكان لا يهتمّ باللون ولا يهتمّ بالموديل المهمّ أن يحقّق شروط الستر الاّ يشفّ او يصف ولا يسمح بأيّ شي يظهر على الوجه.

[3] – أُنظر/ي: برنامج رفيدة الحبش"والذّاكرات"، ح 7.

[4] – انظر/ي: برنامج بيان الطّنطاوي " بيّنات"، ح 12.

[5] – أُنظر/ي: برنامج بيان الطّنطاوي " بيّنات"، الحلقة 23.

ملكا للرّجل بلا منازع قد يستضيف المرأة إليه ولكن دون أن يبني لها فيه أرض مقام لأنّ مقامها وأرض ميعادها الفضاء الدّاخلي الخاص هو بيتها وما عدا ذلك استثناء وتجاوز لا حقّ ولا استحقاق .

وتبدو المسألة، في نظرنا على المستوى الثّقافي عميقة وخطيرة إذ لم تستطع الدّاعيات ومن ورائهنّ فيالق الفقهاء وترسانة أحكامهم أن يفصلن في خطابهنّ بين ما هو من الدّين وإلهيّ نزل به القرآن وما هو إنسانيّ من قبل العرف والتّقاليد، بل غلّبوا الإنساني على الإلهيّ باعتبار أنّ هذا الإلهيّ ضرب من ضروب العدول عن مألوف الموروث المتمثّل دوره في تأبيد عبوديّة المرأة وتبعيّتها للرّجل. وبذلك نتبيّن أنّ أحكام الحجب ومفهوم العورة الذّي تتوسّل به الدّاعيات في خطابهنّ وتوجيههنّ لحركة المرأة في الفضاء الخارجي وحصرها بالفضاء الدّاخلي أو تحويل الفضاء الخارجي إلى فضائها الدّاخلي بالمفهوم المتداول "ليس له علاقة بإسلام ولا بإيمان، بل هو من سنن العادات القوميّة المحلّيّة"[1]، وقد عمل الفقهاء بحكم انتمائهم إلى العصر الأبوي على تأبيد هذه النّظرة لجسد المرأة وتقبّلها من بعدهم المختصّون على أساس قول صدق وتبنّتها الدّاعيات وروّجن لها على أساس أنّها كذلك، ولم يكن ليشذذن عن هذا التصوّر أو أن يراجعنه في ظلّ منظومة فكريّة تؤمن بالثّوابت وترى النّظر فيها هدما للدّين بأسره.

ب- أحكام التّراتبيّة ومفهوم الدّور الاجتماعي:

سعت جميع داعيات الفضائيّات الدّينيّة المتخصّصة في خطابهنّ إلى التّأكيد على دور المرأة في المجتمع سواء على الصّعيد الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثّقافي أو السّياسي وإن بدرجات متفاوتة من صعيد لآخر، فأشدن بفعاليّة الحضور النّسائي في الفضاء الخارجي سواء في القرون الإسلاميّة الأولى[2]، أو فيما يليها من القرون[3]، وحتّى وقتنا الرّاهن[4]. ويفترض هذا المحتوى في الخطاب أن ينزاح باستراتيجيّته عمّا تمّ اختزال الهويّة الأنثويّة فيه من مفاهيم الانفعاليّة والسلبيّة واللاّعقلانيّة في إطار المفهوم الهوّيّ القديم للمرأة، لا سيما وأنّه يقرّ بأنّ المرأة لا تعوزها الوسيلة في أن تثبت على الحقّ[5]، فهي تصبر وتصابر[6]، تتدبّر الحياة

---

[1] – ذويب (الأمين): **الحجاب لباس الإسلام أم لباس الجاهليّة**، ص 382.

[2] – أُنظر/ي في ذلك جميع حلقات برنامج " والذّاكرات" لرفيدة الحبش.

[3] – أُنظر/ي في ذلك بعض حلقات برنامج " تعلّمت منها" لإلهام شاهين.

[4] – أُنظر/ي بعض حلقات برنامجي" والذّاكرات" لرفيدة الحبش، و" اللهمّ تقبّل" لعبلة الكحلاوي.

[5] – والذاكرات حلقة 3 وذكرها لفكيهة بنت يسار.

[6] – والذّاكرات حلقة 4 وذكرها لصفيّة بنت عبد المطّلب، وممّا نتعلّمه من ليلى بنت أبي حثمة حلقة 9، وامّ رومان امّ عائشة بنت أبي بكر حلقة 10، وعدد آخر من الذّاكرات أمثال سميّة بنت خيّاط ورنّيرة وجارية لبني عبد مؤمّل وامّ عبيس من الجواري الحلقة 11.

وتدرك المعرفة وتتمكّن منها في حقولها العلميّة المختلفة[1]، تدير شؤونها وشؤون غيرها بحكمة وتعقّل وحتّى ببطش وقوّة إن لزم الأمر مثلها مثل الرّجال[2]، كما تترفّع عن فتن الحياة ومباهجها[3]. إلاّ أنّ مثل هذا الافتراض قد ينتفي حينما نلمس أنّ المجهودات التّي استماتت فيها الدّاعيات حقيقة في تأكيد دور المرأة في مختلف المجالات الحياتيّة قد طالتها التّراتبيّة التّي تعني في اللغة " رتب الشيء يرتب رتوبا، وترتّب: ثبت فلم يتحرّك(...) والترتّب كله: الشيء المقيم الثابت. والترتّب: الأمر الثابت (...) والرّتبة: الواحدة من رتبات الدرج. والرّتبة والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها (...) والرتب: الصخور المتقاربة، وبعضها أرفع من بعض، واحدتها رتبة"[4]، وفي الاصطلاح هي الأحكام التي تنظّم العلاقة بين الجنسيّن على أساس تمييزي فيسند للذّكر الدّور الرّيادي على أساس ثانويّة دور المرأة.

وتتجلّى أحكام التّراتبيّة في خطاب الدّاعيات على عديد المستويات، ذلك أنّ جميعهنّ أكّدن على الأدوار الاجتماعيّة للمرأة فأشدن بدورها أمّا لبنيها حينما تعتني بهم وتراقبهم عن كثب[5] أو لغير بنيها[6]، زوجة تحسن إدارة أسرتها وتعدّ الزّوج أمانة بين يديها، إذ لا تغضب مثلا الرّجل على والديه وعائلته[7]، وتتحمّل فقد الزّوج والأهل[8]، ثمّ أختا حينما تقف إلى جانب أخيها في محنته، وكذلك بنتا حينما تقف إلى جانب والدها في دعوته، أمّا كونها **امرأة** تتساوى حقوقها وواجباتها مع الرّجل فقد غاب هذا التّنويه بل أنكرت بيان الطّنطاوي ذلك فيما أنكره والدها في إطار عرضها لسيرته وموقفه من إحدى النّساء اللواتي يدعين إلى المساواة[9].

ونستشفّ أحكام التّراتبيّة التّي تعدم أيّ تصوّر يقوم على المساواة بين الجنسين في مستوى الأحوال الشخصيّة، وتظهر مكثّفة في القول بالقوامة الأسريّة المعنويّة والماديّة التّي يتمتّع بها الرّجل، سواء في أحكام

---

[1] – أُنظر/ي: برنامج إلهام شاهين " تعلّمت منها" ح2، حينما تعرّضت لكلّ من أسماء القيروانيّة بنت أسد بن الفرات وتعلّمها القرآن والفقه والحديث على يدي أبيها ، ح ، دهماء المرتضى ت 837 هـ عاشت في اليمن وهي فقيهة وشاعرة وعالمة في النّحو. وح سكينة بنت الحسين ت 117 هـ تعدّ اوّل صاحبة صالون أدبي بالمفهوم المعاصر.

[2] – أُنظر/ي: برنامج رفيدة الحبش " والذاكرات"، ح 2، حينما ذكرت أمر لبابة بنت الحارث التّي شجّت رأس أبي لهب لمّا كاد أن يقتل أبا رافع.

[3] – أُنظر/ي: برنامج رفيدة الحبش " والذاكرات"، ح 5.

[4] – أُنظر/ي: ابن منظور: **اللّسان**، مادة " رتب".

[5] – أُنظر/ي: برنامج إلهام شاهين " تعلّمت منها" حينما تحدّثتعنامّ موسى.وانظر أيضا برنامج رفيدة الحبش " والذّاكرات" أمّا لأبنائها وغير بنيها : والذّاكرات حلقة 6 وذكرها لامّ أيمن التي ربّت النبيّ يتيما

[6] – أُنظر/ي: برنامج رفيدة الحبش " والذّاكرات"، ح 6، حينما أشادت بدور أمّ أيمن في تربية النبيّ يتيما.

[7] – نتبيّنه ممّا نتعلّمه من سلمى بنت عبد المطّلب، الحلقة 8.

[8] – ونلمس جميبع هذه الأدوار خاصّة في برنامج تعلّمت منها لإلهام شاهين.

[9] – أُنظر/ي برنامج " بيّنات" لبيان الطّنطاوي الحلقة 22.

الزّواج والطّلاق والنّسب وحتّى الإرث فجميعها رهينة بنانه إلاّ من بعض الاستثناءات. وقد صمت خطاب الدّاعيات عن هذه القوامة لأنّهنّ لا يعتبرنها ممّا ينبغي مراجعته، بل ما انفكّت إلهام شاهين تؤكّد عليها حينما أثارت مسألة الولاية في الزّواج، واعتبرت أنّ المرأة لا تعقد على نفسها إلاّ بوليّ في ردّها على النّساء اللّواتي يعمدن إلى ذلك بالاستناد إلى رواية أمّ سلمة[1]، إذ مثّلت لها قصّتها من الشّاذ الذّي يحفظ ولا يقاس عليه مستندة هي الأخرى إلى قصّة زواج أمّ حبيبة بنت أبي سفيان من الرّسول[2]. وألحّت كذلك بيان الطّنطاوي على هذه المسألة حينما أشارت إلى موقف أبيها من مواصلة تعليمها هي وابنة عمّها إذ رفض في البدء مواصلة دراستهما لأسباب يراها لا تتوافق وما أهّلت المرأة له[3]. ويجعلنا ذلك نقف على مستوى آخر من الذهنيّة الذكوريّة التّي توجّه خطاب الدّاعيات وتجعله يسند قوامة الفعل إلى الصّيغة الذّكريّة.

وفضلا عن ذلك نتبيّن التّراتبيّة في الأحكام أيضا في فقه المعاملات المدنيّة من نظم المهن والأعمال. فعلى الرغم من تركيز الدّاعيات الواضح في برامجهنّ على التّعظيم من شأن عمل المرأة، إلاّ أنّهنّ يشترطن أن يراعى فيه أسبقيّة الرجال كما هو واضح عند حديث إلهام شاهين في برنامجها عن الجهاد[4]، إذ ترى أنّه لا ينبغي أن يكون على حساب أبنائها وزوجها. ويفترض ذلك القول إنّ عمل المرأة ينبغي أن يكون من جنس ماهي مؤهّلة له من رعاية وعناية بعائلها وعيالها، فذهنيّة الخدمة المنزليّة لا تبارح مفهوم عمل المرأة وثقافته. وغير خاف أنّ هذه الأعمال ليست لها أيّة قيمة في الدّورة الإنتاجيّة للمجتمع ومجاله الاقتصادي ولا فائدة ماديّة تعود بها المرأة على أسرتها وذلك لأنّ الإنفاق من غير مشمولاتها فـ" مسؤوليّة الرّجل هي الإنفاق وأنّ واجب المرأة الخدمة. (...) ويعكس ذلك جندرة واضحة للأدوار والأنشطة بما في ذلك الفضاءات. فالإنفاق مرتبط بأعمال الخارج وهو واجب الزّوج المكتسب الذّي يصله بالثّقافة ويتلاءم مع حرارته التّي تحفّزه على

---

[1] – أمّ سلمة زوج النبيّ وتدعى هند بنت أبي أميّة، تزوّجها سنة 2 هـ بعد وقعة بدر، وتوفّيت في أوّل خلافة يزيد بن معاوية حوالي سنة 60 هـ،ابن عبد البرّ: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيقي البجاوي (عليّ محمّد)، بيروت، دار الجيل، ط 1، 1992، مج 4، ص. ص 1920– 1921.

[2] – أُنظر/ي الحلقة 25 من برنامج " تعلّمت منها" لإلهام شاهين.

[3] – أُنظر/ي الحلقة 13 من برنامج " بيّنات" لبيان الطّنطاوي، فقد ذكرت أنّ والدها تدخّل حينما نجحت هي ولميس ابنة عمّها إلى العاشر من الصفّ التّاسع وقرّر ألاّ يواصلا تعليمهما بالمدرسة النظاميّة آنذاك لما رآه من صور الرّقص وما يحدث في معسكراتها. فزوّج ابنته وأنذر أخاه بقطع علاقته به إن واصلت ابنته دراستها.

[4] – أُنظر/ي في ذلك الحلقة 27 من برنامجها " تعلّمت منها"، التي تحدّثت فيها عن نسيبة بنت كعب وجهادها في بعض غزوات الرّسول.

الحركة. أمّا الخدمة فإنّها مقترنة بالدّاخل وهي مسؤوليّة الزّوجة لقربها من الطّبيعة ولخصائصها الفيزيولوجيّة التّي تحول دون خروجها للعمل ومواجهة المخاطر"[1].

ويضاف إلى ما تقدّم من التّراتبيّة في أحكام الوضع الاجتماعي للمرأة تراتبيّة في مجال السياسيّة، نستشفّها من غياب مبحث المرأة والسّياسة أصلا عن خطاب الدّاعيات في برامجهنّ. ويعكس هذا الصّمت في وجه من وجوهه استبعادا واعيا للمرأة عن مجال السياسة واستبطانا لما استشرى من حالة فقهيّة تقصي المرأة عن المراتب السّياسيّة لاسيما سدّة الحكم ودواليب تسيير. وتعود هذه الحالة الفقهيّة في أصل نشأتها إلى ما تناقلته جوامع أهل السنّة من حديث لأبي بكرة يقول فيه:" عصمني الله بشيء سمعته من رسول الله (ص) لمّا هلك كسرى قال من استخلفوا قالوا بنته قال لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة"[2]. وكان لهذا الحديث تداعياته على أغلب فقهاء أهل السنّة القدامى[3]، إذ أجمعوا على نهي المرأة عن إتيان السّياسة، وقرّروا أنّ الولاية والوظائف العامّة للرّجل، إذا توافرت فيه شروط خاصّة[4]. ولهذا الرّأي أيضا أنصاره من فقهاء أهل السنّة من المحدثين[5]. ويستند جميعهم بلا استثناء بدءا من القدامى منهم إلى معاصريهم إلى أنّ المرأة بطبيعتها الفطريّة معدّة لرعاية

---

[1] – قرامي (آمال): **الاختلاف في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، دراسة جندريّة**، بيروت – لبنان، دار المدار الإسلامي، ط 1، 2007، ص 655.

[2] – نس: **سنن**، ك آداب القضاة، مج 4، ج 8. ونجد في الكتاب 37 بابا، 47 حديثا. أبو بكرة الثّقفي الصّحابي، واسمه نُفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزّى بن غِيرة بن عوف بن ثقيف الثّقفي واسم ثقيف قسي، وقيل هو ابن مسروح مولى الحارث بن كَلَدة. أمّه تدعى سميّة جارية الحارث بن كَلَدة وهو أخو زياد بن أبيه لأمّه. نزل نُفيع يوم الطّائف إلى النّبيّ (ص) من حصن الطّائف في " بَكْرة" فأسلم وكنّي أبا بكرة وأعتقه الرّسول يومئذ، وهو معدود في مواليه. عدّ العجلي أبا بكرة من خيار الصّحابة. وممّا يُذكر أنّ عمر بن الخطّاب جلده مع نافع بن الحارث وشبل بن معبد ثمّ استتاب نافعا وشبلا فتابا ففبل شهادتهما واستتاب أبا بكرة فأبى وأقام فلم يقبل شهادته. مات بالبصرة في ولاية زياد وقال المدائني مات سنة 50 هـ وقيل 51 وحتّى 52 هـ. أُنظر/ي ترجمته لدى: ابن الأثير: **أسد الغابة، أسد الغابة في معرفة الصّحابة**، 8 مج، تحقيق وتعليق معوّض(عليّ محمّد) و عبد الموجود (عادل أحمد)، قدّم له البرّي(محمّد عبد المنعم) وأبو سنّة (عبد الفتّاح)، بيروت– لبنان، دار الكتب العلميّة، ط2، 2003، ج 6، ص. ص 35– 36. ابن حبّان (أبو حاتم محمّد البُستي ت 354 هـ / 965 م): **الثّقات**، 9 ج، حيدرآباد الدّكن– الهند، دائرة المعارف العثمانيّة، ط 1، 1973، ج 1. 1978،ج 2، 3، 4، 5، 6، 7، 9. 1982، ج 8، ج 3، ص. ص 411– 412.

[3] – ونذكر على سبيل المثال : القرطبي (ت 671 هـ/ 1272 م): **الجامع لأحكام القرآن**، 20 ج، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط 5، ج 13، ص 165. ابن قدامة (موفّق الدّين ت 620 هـ/ 1223 م): **المغني**، 11ج، بإشراف رضا (محمّد رشيد)، القاهرة، مطبعة دار المنار، 1929، ص 375.

[4] – وفي هذا السّياق يقول القرطبي (ت671 هـ/ 1272م) في تفسيره إنّ الفقهاء:"أجمعوا على أنّ المرأة لا تجوز أن تكون إماما، وإن اختلفوا في جواز كونها قاضية في ما تجوز شهادتها فيها"، القرطبي: **المصدر السّابق**، ج 1، ص 312.

[5] – نذكر على سبيل المثال: الأفغاني (جمال الدّين): **مجموعة الأعمال الكاملة**، جمع وترتيب عمارة (محمّد)، الدّار العربيّة للطّباعة والنّشر، 1968، ص 525.

بيتها وقيامها بواجب الأمومة وحضانة النشء وتربيته، ولذلك يلزمها أن تقرّ في بيتها وألاّ تختلط بالأجانب[1]، وأن تترك المهام الاجتماعيّة ومناصب القيادة والرّئاسة لمن هو أهل لها من الرّجال.

وإذ نحفر في مرجع هذه النّظرة الإقصائيّة للمرأة في الشّان السّياسي، يتبيّن لنا أنّه منذ بداية تاريخ الفلسفة والسّياسة، وضع ذوو النّظر المرأة على هامش السّياسة، وتبعا لذلك على هامش التّاريخ[2]، حتّى أضحت المرأة منذ ذلك الاعتبار النّصف المظلم من التّاريخ. وأقاموا من خلال تقسيمهم الصارم بين الجنسين على أساس الخصائص البيولوجيّة لكلّ منهما، جداول للذّكوريّ والأنثويّ ولأنشطة كلّ واحد منهما دون أن يصبّ الواحد منهما في الآخر. وفي ضوء هذه الرّؤية أضحى ينظر إلى السّياسة بوصفها ميدانا رجاليّا لا أهليّة للمرأة في الخوض فيه، وظلّت هذه النّظرة تشكّل أساس التّفكير لدى قسم كبير من المجتمعات الإنسانيّة وأثّرت في أصحاب الأديان المختلفة بما في ذلك الإسلام، ذلك أنّ أنّ مؤسّسي هذه الأديان والمذاهب التّابعة لها، سواء في حالة تلقّيهم للوحي من عالم الواقع أو في مقام إبلاغهم ما تلقّوه لمخاطبيهم، كانوا خاضعين بدورهم لتأثير ثقافة زمانهم[3]، وفيما يخصّ الإسلام كانت هذه الثّقافة نتاجا لعصر الجاهليّة والثّقافة التّوراتيّة لليهود والثّقافة الفارسيّة القديمة، بحيث أنّ ثقافة ذلك الزّمان أدّت دورها في مرحلتين، مرحلة حالة تلقّي الوحي من عالم الواقع ومرحلة إبلاغ ما تمّ تلقّيه للمخاطبين[4]. وعليه وجب العمل على فهم الأحكام المتّصلة بالمرأة ولاسيما أحكام وضعها السّياسي فهما يجرّدها من تأثير القرون الوسطى عليها وقد يكشف ذلك " أنّ شخصيّة المرأة مؤهّلة للحكم والقيادة كالرّجل، وأنّ الضّعف والخوف والقصور الفكري ليست طبائع في المرأة بل هي نتيجة تربية خاصّة وثقافة معيّنة درجت بعض المجتمعات عليها"[5].

ولا يمكن أن نردّ هذه الرّؤية المتّصلة بالمرأة والعمل في خطاب الدّاعيات كما سبق وذكرنا إلاّ إلى النّظام الاجتماعي وبنائه الفكري الذّي يشتغل باعتباره آلة رمزيّة هائلة تؤثّر ضرورة على الإعلام، وتصبو إلى

---

[1] – الشّواربي (عبد الحميد): **الحقوق السّياسيّة للمرأة في الإسلام**، الإسكندريّة، منشأة المعارف، 2003، ص 55.

[2] – فالمرأة مثلا في أثينا القديمة في الحضارة اليونانيّة تعامل كالعبيد الأقنان، خاصّة وأنّ أحد أهمّ فلاسفتها وهو أرسطو، يعتبر أنّ الطّبيعة قد فضّلت الرّجل الأكثر عقلا وكمالا على المرأة ويرى أنّ وظيفتها تقتصر على العناية بالأطفال والخدمة في المنزل تحت سلطة الرّجل، وليس لها من مجال في العمل السّياسي، أُنظر في ذلك: حوسو (عصمت محمّد): **الجندر، الأبعاد الاجتماعيّة والثّقافيّة**، عمان، الشّروق، ط 1، 2009، ص 25.

[3] – أبو زيد (نصر حامد): **دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، قراءة في خطاب المرأة**، الدّار البيضاء، المركز الثّقافي العربي، 2004، ط 3، ص 287.

[4] – أبو زيد (نصر حامد): **دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة**، ص 287.

[5] – شمس الدّين (محمّد مهدي): **السّتر والنّظر**، بيروت، المؤسّسة الدّوليّة للدّراسات والنّشر، 1994، ص 34.

المصادقة على الهيمنة الذّكوريّة التّي يتأسّس عليها. فيجعل هذا النّظام من الذكورة جوهرا إنسانيّا وما سواه عرضا لا قيمة له إلاّ في ظلّه. والحال أنّ الذّكورة في حقيقتها لا تعدو أن تكون ذهنيّة وإيديولوجية تشرّع قبول الواقع الاجتماعي القائم على الهيمنة الذكوريّة، وذلك من خلال إنتاجها لمنظومة من الأفكار والتصوّرات والتمثّلات والمواقف والممارسات التي تقوم بتشكيل العلاقة بين الرّجل والمرأة وبنائها وفقا لرؤية تجعل من المرأة وديعة، سلبيّة، عاطفيّة، حدسيّة، ذاتيّة، ولا عقلانية، لا تنافس وتتقبّل كل شيء أمّا الرّجل فهو على العكس من ذلك. ومن شأن هذه المعتقدات بخصوص كل ما هو ذكوريّ وأنثويّ وبالطّريقة التي ينبغي أن يتصرّف بها الرجال والنّساء، أن تقيّد الأفراد داخل حدود معيّنة تختلف من ثقافة إلى أخرى[1]. وما تزال هذه الذّهنيّة تعمل إلى الآن وتفعل فعلها في خطاب الدّاعيات الذّي لا يختلف عن خطاب ثلّة هامّة من المثقّفين العرب الذّين منهم من يعتبر أنّ هذه الظّاهرة ناجمة عن التّقسيم الطّبيعي للعمل ويستشهدون بأنّ نظام الخلقة لم يثقل عاتق المرأة بجملة من الواجبات، وإنّما جعلت المرأة خادمة للنّوع. فأكثر صفاتها تتركّز في مجالات تربية الأولاد والاهتمام بشؤون الأسرة. ويسعون إلى إثبات أنّ المرأة أكثر مقدرة من الرّجل في كلّ ما يتعلّق بهذه الشّؤون. ويرون أنّه ليس نقصا وإنّما هو من باب تقسيم الواجبات والأعمال والقابليّات.[2]

وتعمل مثل هذه النّظرة القديمة والمتجدّدة على تأبيد الافتراض الذي يزعم بأنّ حضور المرأة في الحيّز المكاني يجعل منه مجالا خاصّا في حين يصبح في غيابها مجالا عامّا، وعلى الفصل الجندري المرتبط بعزل النّساء مبدءا ناظما لفهم المجتمعات[3]. وهي ما تزال تحكم تاريخ النّساء وتشكّل إلى الآن مفهوم التّفوّق الذّكوري الذّي يعدّ الإطار الذّهني للمجتمع العربي الإسلامي وإنتاجاته الفكريّة والثّقافيّة بما في ذلك الإعلاميّة وفي منابره الفضائيّة العربيّة الدّينيّة المتخصّصة بأصحابها وداعياتها اللّواتي لم يستطعن في خطابهنّ حول

---

[1] – أُنظر/ي في ذلك الموقع الإلكتروني التّالي: *http://www.alawan.org/الاختلاف-من-الجنس.htm*، مولود (امغار): " الاختلاف من الجنس إلى النوع، المناظرة القائمة بين الحتمية البيولوجية والبناء الثقافي: مناظرة الطبيعة والتنشئة"، السبت 23/ 06/ 2012.

[2] – المرتضوي (ضياء): " المرأة والشّهادة من منظار الشّهيد المرتضوي"، **المرأة في الإسلام وإيران**، إعداد: المهريزى (مهدي)، بتعاون مركز الدّراسات الثّقافيّة الدّوليّة، مكتب الدّراسات الإسلاميّة، ترجمة: العصامي (خليل)، طهران، مؤسّسة الهدي للنّشر والتّوزيع، 2001، ص. ص 122- 142. ص 127. ومنهم من يؤكّدون أنّ " الحقّ إذا رجعنا إلى الأساسيّات من المبادئ نجد أنّ الطّبيعة قد أمرت بدور مميّز خاصّ للمرأة فليست الأنوثة في إبراز ملامح المرأة العضويّة وإنّما في قدرة هذه الأنوثة الدّاخليّة على حماية المؤسّسة الأسريّة كلّ يوم بل كلّ لحظة. إنّها جدران المنزل وغذاء الطّفل وضمير الرّجل"، مطر (كلاديس): **خلف حجاب الأنوثة**،، سورية- دمشق، ورْد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط 1، 2006، ص 25.

[3] – الشطّي (نور الضّحى)، رابو (أنيكا): **تنظيم النّساء الجماعات النّسائيّة الرّسميّة وغير الرّسميّة في الشّرق الأوسط**، المدى، ط 1، 2001، ص 96.

المرأة أن ينفلتن منها، فكانت منظومة خطابهنّ خاضعة لسيطرة هذه الإيديولوجيّة على صياغتهنّ لكلّ ما هو مرتبط بالمرأة من حيث هويّتها وجملة المهن والأعمال المرتبطة بها، وغير قادرة على التّأسيس التأصيلي لدور المرأة خارج أحكام التّراتبيّة التّي حكمت العلاقة بين الجنسين. ولا مريّة في أنّ هذا التصوّر بذهنيّته التّي ينتج من خلالها الدّاعيات برامجهنّ ويتجلّى على مستوى ممارستهنّ في الفعل الإعلامي حول المرأة له خلفيّاته الدينيّة وموقفه من تحديث الخطاب الدّيني.

3- خطاب الدّاعيات بين إثابة المرجعيّة الدّينيّة وإدانة تحديث الخطاب الدّيني

لم يكن للخطاب النّسائي في الفضائيّات الدّينيّة المتخصّصة، قلبا وقالبا، أن يقوم على أحكام الحجب والتّراتبيّة في تنميطه لصورة المرأة وقولبتها[1] لو لم تتحكّم فيه بنى ذهنيّة كما سبق وبيّنا رصدت للذّكوري والأنثوي جداول للهويّة والفعل تقرّ التّمييز بين الجنسين. وهذه البنى الذّهنيّة استحكمت قبضتها على الفكر الدّيني[2] وفرضت سلطتها على خطاباته بما في ذلك خطابه حول المرأة الذي لا يعدو أن يكون هو ذاته "خطاب(ا) في السلطة (...) وتجلياتها في المجتمع القبلي الذي يحتفي بقيم الفحولة والذكورة"[3]. وقد تلبّست هذه السّلطة بالخطاب الدّيني، فسادت نصوصه من الكتاب والسنّة النبويّة، واتّخذت منهما حصنا منيعا حتّى تؤبّد بهما الصّورة النّمطيّة للمرأة العربيّة المسلمة[4] موصدة كلّ تغيير دونها بنصّ ثالث جامع لآراء السّلف من العلماء والأئمّة سواء من أصحاب المذاهب الإسلاميّة أو أتباعهم ومريديهم من القدامى والمعاصرين.

---

[1] – ونعرّف الصّورة النمطيّة بأنّها "إن مفهوم الصورة النمطية (Stereotype) مفهوم مستعار من عالم الطباعة، ويعني الصفيحة التي تستخدم لإنتاج نسخ مطابقة للأصل، تمّ استخدم هذا المصطلح ليصف ميل الانسان إلى اختزال المعلومات والمدركـات، ووضع الناس والأفكار والأحداث في قوالب عامة جامدة (...) أو رأيـاً مبسـطاً ، أو موقفـاً عاطفياً ، أو حكمـاً متعجلا يتّسم بالجمود وعدم التغير"، الشميري (فهد بن عبد الرحمان): **التربية الإعلاميّة كيف نتعامل مع الإعلام؟**، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، ط 1، 2010، ص 87.

[2] – يمكن العودة في هذا الصّدد للتمييز بين مصطلحات الدّين والفكر الدّيني والخطاب الدّيني إلى دراسة: الإبراهيم (نضال):" تجديد الخطاب الدّيني وما بعد تجديد الخطاب الدّيني، ج 1، الموقع الإلكتروني مركز الأبحاث والدّراسات العلمانيّة في العالم العربي، 2/ 9/ 2015، الاطّلاع عليه في 01/ 2016/05.

[3] – إدالكوس (عبد الله): " المرأة وأزمة الخطاب"، الموقع الإكتروني *http://www.mominoun.com/articles*، مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، 07/ 03/ 2016، الاطّلاع عليه في 02/ 06/ 2016.

[4] – وهذه الصّورة النّمطيّة لا تلاحق فحسب المرأة في القنوات الفضائيّة الدّينيّة المختصّة بل فيما سواها من القنوات الأخرى وفي الإعلام المسموع والمرئيّ، أُنظر في ذلك: حلس (نسرين):" الصّورة النّمطيّة تلاحق المرأة العربيّة أينما حلّت"، الموقع الإلكتروني: *http://www.alarab.co.uk/?id=75287*، 2016/03/13، ع 10213، ص20، الاطّلاع عليه في 03/ 06/ 2016. ويمكن الاطّلاع على سلبيّات الصّورة النمطيّة عامّة في الإعلام من خلال المقالين التّاليين: الحاج (ديما):" ما هي الصورة النمطية في وسائل الإعلام (2)، الموقع الإلكتروني التّالي، *https://almnyalsahafa.wordpress.com*/، 26/ 05/ 2015، الاطّلاع عليه في 02/ 06/ 2016. حسن (مها): " الصّورة النمطيّة"، الموقع الإلكتروني التّالي: *http://www.alarab.co.uk/m/?id=22514*، 03/ 06/ 2016، الاطّلاع عليه في 03/ 06/ 2016.

ويستمدّ خطاب الدّاعيات الدّيني ذاته إطاره المرجعي من هذه النّصوص بما تستبطنه من سلطة ذكوريّة، وفهم قروسطي لآي القرآن[1] وسنّة الرّسول[2]، وترديد لآراء السّلف من أمثال ابن تيميّة(661-728هـ / 1263-1328م) وتلميذه ابن قيم الجوزيّة (691 هـ- 751 هـ/ 1292 هـ- 1349 م) والذّهبي (673 هـ / 748 هـ - توفي 1274م / 1348م) وغيرهم دون نقد لمواقفهم ومساءلة لنصوصهم وما احتوته من سير وأخبار وروايات، ممّا يترك المجال للدّاعيات بأن يستعدن الماضي والقالب الذي وضعت فيه المرأة بسرد المرويّات وعرض الأحداث والاستشهاد بها كما لو كانت حقيقة بدعوى أنّ مضامينها قيميّة أخلاقيّة. ولو يتدبّر الواحد منّا مثلا السّيرة النبويّة لتبيّن له ما ورد فيها من مرويّات مُتلبِّسة باستيهامات الرّجال والأهواء والتّاريخ الإسلامي القديم ولكنّها تسود على الرّغم من ذلك أذهان المُحدَثين[3]، ناهيك عمّا ورد إخبارا عن المرأة في المصنّفات الحديثيّة وكتب التّفسير نتبيّن منه ما علق بها من تمثّلاث ما قبل إسلاميّة ولكنها تمرّ هي وغيرها من الأخبار في غفلة من الإخباريّين إلى من بعدهم من المحدّثين والفقهاء وما يليهم من الدّعاة والدّاعيات فيلهجون بها في خطابهم ويقع الإيحاء للجمهور بموضوعية محتواها الدعائي المراد إيصاله[4].

وتنطلق الدّاعيات في إطار مرجعيّة خطابهنّ الدّينيّة النصيّة من مقولة الأصول الثّابتة فيها ولا سيما فيما يتّصل منها بالوضع النّسائي شأنهنّ في ذلك شأن علماء الدّين وحرّاس الأرثودوكسيّة الإسلاميّة القديمة منها والحديثة التّي عدّ أصحابها أنفسهم من القوّامين على الدّين وعلى صون المرأة في كلّ آن وبرّ، ويدعّمن هذه المقولة كما تشير إلى ذلك رجاء بن سلامة بفكرة خلود الشّريعة، وصلوحيّتها لكلّ زمان ومكان[5]،لا سيما في ضبط العلاقة بين الجنسين. ويلتمس الدّاعيات في سبيل تمرير خطابهنّ بمرجعيّته الأصوليّة صيغة خطابيّة

---

[1] – في برنامج الذّاكرات لصاحبته رفيدة الحبش، استشهدت بسورتي: **الأحزاب** 33/ 35، **التوبة** 9/ 100.

[2] – ونلمس ذلك في جميع البرامج المقدّمة.

[3] – أُنظر/ي في ذلك: بزاينيّة (حسن): " نقد الأصول: في سِيرة السّيرة النّبوية منذ النّشأة حتّى العصر الحديث"، فئة الأبحاث المحكّمة، 21/ 02/ 2015، الاطّلاع عليه في 03/ 06/ 2016.

[4] – أُنظر/ي في ذلك: رمضان (حسن محسن): " التّدليس في الخطاب الدّيني الإعلامي.... محمّد العوضي كنموذج"، الموقع الإلكتروني: الحوار المتمدّن، ع 3763، 19/ 6/ 2012، الاطّلاع عليه في 5/ 5/ 2016.

[5]– وقد قدّمت رجاء بن سلامة قراءة حفريّة في منشإ هذه القولة، مبيّنة أنّ هذا الشّعار ظهر ربّما لأول مرّة في تفسير المنار كما أشرف عليه وأخرجه رشيد رضا:" هذا هو التّفسير الوحيد الّذي فسّر به القرآن على أنّه هداية عامّة للبشر ورحمة للعالمين، وأنّه جامع لأصول العمران وسنن الاجتماع، وموافق لمصلحة النّاس في كلّ زمان ومكان بانطباق عقائده على العقل، وآدابه على الفطرة، وأحكامه على درء المفاسد وحفظ المصالح. وهذه هي الطّريقة الّتي جرى عليها في دروسه في الأزهر حكيم الإسلام وعلم الأعلام الأستاذ الإمام"، أُنظر الموقع الإلكتروني: ابن سلامة (رجاء) : فكرة " الثّوابت"، منشأها ودلالاتها ومآلاتها، *http://alawan.org/article14241.htm* ، 27/ 07/ 2015، الاطّلاع عليه في 27/07/ 2015.

فنيّة يستخدمن فيها طاقة هامّة من كيمياء الكلام لتوجيه الناس جماعات وفرادى في اتّجاه ما يريدون[1]، وهذه الصّيغة يعدّها محمّد الغيلاني من أهمّ أساليب الخطابة في الإقناع أو بالأحرى استجلاب الإعجاب، ومع الإعجاب يتوقف العقل عن التفكير أو التحليل أو المساءلة، وذلك كلّه في سبيل الاستقواء بسلطة النّقل على حساب العقل[2].

وانطلاقا من التّشكيلة البنيويّة والمرجعيّة لخطاب الدّاعيات نتبيّن أنّه خطاب جاهز للاستهلاك يخلق الرضا عن النفس ويجلب الطمأنينة الداخلية، من خلال الانتماء إلى لحظة تاريخية مليئة بالأمجاد والبطولات والتفوق، ويغذّي عاطفة دينية تعويضيّة من الناحية السيكولوجية على المستوى الفردي كما الجماعي، ويغيّب في الآن ذاته قضايا المجتمع الحقيقيّة والسياسة من اهتماماته[3]، ناهيك عن المرأة وقضاياها في جميع المناحي الحياتيّة. ونلحظ هذا الأمر في جميع برامج الدّاعيات الذّي تعمد فيه صاحباته إلى تقديم قصص وحكايات أقرب إلى مجتمع يوتوبي منها إلى واقع التجربة الدينية التاريخية في سياق استشهادهنّ بسيرة الرّسول أو حياة الصّحابيّات. وهو " خطاب يسعى إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بطريقة تجعل منه متوافقًا مع الحتمية الدينية، حيث تتم كتاباته في شكل دورات من التقوى والفجور، فالنهوض يكون عندما تبدأ دورة التقوى، وتبدأ دورة الانحدار عندما تبدأ دورة الفجور"[4]. وحتما يعبّر هذا الخطاب الدّعوي ببناءاته المقدّمة ومضامينه

---

[1]– وللاطّلاع أكثر على مفوم كيمياء الكلام، أُنظر/ي الموقع الإلكتروني التالي: قريرة (توفيق): " كيمياء الكلام"، " كيمياء الكلام هي تفاعلاتنا مع كلامنا اليومي في ما بيننا، هي التي تجعلنا نشعر بالفرح حين نسمع ضربا من الكلام وبالحزن أو الغضب حين نسمع ضربا آخر منه، هي التي تجعلنا نضحك بالكلام ونبكي بالكلام ونعشق بالكلام وحتى نمرض أو نقضي بالكلام. الكلام بما هو جُمَل أو قضايا تؤلّف لا معنى له في ذاته؛ فهو كتركيبات كيماويّة مختلفة ينتج بعضها الصوديوم وبعضها ينتج الفوسفور.. الكلام بما هو مُنْتجٌ يشبه هذه المنتوجات لا مفعول له إلاّ إذا أردنا له ذلك المفعول. بناء عليه، فإنّ التأثير بالكلام أمر واع ومقصود فنحن لا ننتج كلاما فقط لننجز أعمالا حيادية كالبيع والشراء أو الوعد أو القسم أو حتّى لنقُل أخبار حياديّة؛ بل نحن حين ننجز بالأقوال أعمالا فإنّنا لا ننجزها خالية من التأثر والتأثير"، *http://www.alquds.co.uk/?p=552177* ، 18/ 05/ 2016، الاطّلاع علي في 19/ 05/ 2016.

[2] – الغيلاني (محمّد): " الخطاب الدّيني في القنوات الفضائيّة العربيّة: دراسة وتحليل للمضمون"، مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، قسم الدّراسات الدّينيّة، 13 نوفمبر، 2013. أُنظر الموقع الإلكتروني التّالي: كشميم (غازي): " الخطاب الدّيني يدين الحداثة ويتسامح مع مكتسباتها"، 7/ 2/ 2014، الاطّلاع عليه في 15/ 8/ 2015.

[3] – الغيلاني (محمّد): " الخطاب الدّيني في القنوات الفضائيّة العربيّة: دراسة وتحليل للمضمون"، مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث.

[4] – أُنظر/ي في ذلك: الموقع الإلكتروني مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، *http://www.mominoun.com/articles*/، فئة الحوارات، الجمل (عبد المجيد): " تجديد الفكر الديني في الإسلام من منظور المؤرّخ"، حاوره الطّريقي (أنس)، 03/ 03/ 2016، الاطّلاع عليه في 02/ 06/ 2016. إذ يدعو إلى التخلي عن تقديس الماضي والخروج من "سجنه" الذي تحوّل إلى حالة مَرَضِية بالنسبة إلى العرب والمسلمين، فالعرب حاليًّا كما قال المفكر المغربي محمد عابد الجابري "تحوّلوا من كائنات لها تراث إلى كائنات تراثية".

المعروضة عن جزءً "من أزمة الفراغ التي تركها انعدام وجود مؤسسة دينية قادرة على إنتاج خطاب ديني له مصداقية، ناهيك أن الطاقة الدينية لهذه المجتمعات تتعرض إلى نوع من الاستغلال العشوائي الذي يلحق بها تشوهات أصبح التدين ساحة لظهورها وتجليها "[1].

ولا يقنع خطاب الدّاعيات بالمرجعيّة الأصوليّة في تنميطه لصورة المرأة فحسب بل يفرض هيمنته على هذه الصّورة مستخدما استراتيجيّات مضمونيّة لتقويض المنجزات الفكريّة الحديثة من مفهوم للمواطنة والمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة من جميع المجالات الحياتيّة. فيغيّب مثل هذه المفاهيم التي ولدت من رحم الحداثة بما هو" مفهوم مستعمل للدّلالة على المميّزات المشتركة بين البلدان الأكثر تقدّما في مجال النّموّ التّكنولوجي والسّياسي والاقتصادي والاجتماعي"[2]، وينغلق على مفاهيم قديمة استوعبها العقل العربي ورضي بها نمطا فكريّا لكلّ الشّعوب العربيّة، ومعلوم أنّ " صاحب العقل المغلق من المستحيل أن يرى أي شيء خارج عقله، لا يستطيع أن يتجاوز أفكاره المظلمة ولا يمكنه أن يرى غير أفكاره هو، ويعتبرها يقينية قطعيّة لا تقبل المناقشة، ومؤكدة بشكل نهائي"[3]. وهذا بالفعل ما يشكو منه الفكر الذّي ينطلق منه الدّاعيات، فبقدر إدانة خطابهنّ للفكر الحداثي فيما يتّصل بوضع المرأة فإنّه يتسامح تسامحا غير مشروط مع مكتسبات الحداثة التقنيّة والتّي تمثّل الفضائيّات ذاتها مظهرا من مظاهرها وما تشمله من تقنيات في البثّ ومن قوّة في الصّورة

[1] – أُنظر/ي الموقع الإلكتروني التّالي: كشميم (غازي): " الخطاب الدّيني يدين الحداثة ويتسامح مع مكتسباتها"، 7/ 2/ 2014، الاطّلاع عليه في 15/ 8/ 2015. ونشير في هذا الصّدد إلى ضرورة التّمييز بين الدّين والتديّن " العلاقة بين الدّين والتديّن ترجع في أصولها النظريّة إلى الثّنائيّة الكلاسيكيّة بين الثّابت والمتغيّر، الفكر والممارسة المثال والواقع الجاهز والمعيش النّهائي واللاّنهائي مضيفا أنّه يفترض الانطلاق من هذه العلاقة بوصفها معطى بدهيّا يعيه العقل الإنساني في تعاطيه مع الدّين من حيث التمثّل والممارسة والتجربة كما يتعاطى مع باقي نشاطاته الوجوديّة الأخرى"، يونس (الوكيلي): " الدّين والتديّن: مقاربات معرفيّة في الأنماط الاجتماعيّة للدّين"، مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، الاطّلاع عليه في 03/ 06/ 2016.

[2] – الشّرفي (عبد المجيد): **الإسلام والحداثة**، تونس، الدّار التّونسيّة للنّشر، ط 1990، ص 24. مبيّنا " أنّ عمليّة التّغيير نحو هذه الأنماط من الأنظمة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة وإن كانت تمدّ جذورها في التّاريخ بحيث يمكن تتبّع إرهاصاتها في تحوّل الطّرق التّجاريّة العالميّة في السّنوات الألف الميلاديّة وفي ازدهار الجمهوريّات الإيطاليّة تبعا لذلك التّحوّل وفي انتشار الفلسفة الرّشديّة في أوروبا وفي أثر الاتّصال بالمشرق العربي إبّان الحروب الصّليبيّة وفي التّزايد السكّاني وفي اكتشاف أمريكا وتدفّق الخيرات من المستعمرات وفي انتشار الطّباعة وشيوع القراءة وفي حركة الإصلاح البروتستاني والنّهضة الأوروبيّة القائمة على الاستيحاء من التّراث اليوناني والرّوماني والتّخلّص من ربقة الكنيسة وفي غيرها من العوامل، فإنّها لم تتحقّق إلاّ منذ القرن السّابع عشر ميلادي"، ص 24– 25، وراجع في ذلك أيضا ما أورده جان بودريار في مقال له بالموسوعة الكونيّة من تعريف للحداثة بأنّها:" نمط حضاري مميّز يتعارض ونمط التّقليد ونعني بذلك جميع الثّقافات الأخرى الماضية أو التّقليديّة": *Encyclopaedia* , « Modernité » : Baudriard (Jean *Universalis)*, Paris, 1989, vol 15, p 552.

[3] – أُنظر/ي في ذلك الموقع الإلكتروني التّالي: الخشت (محمّد عثمان)، الدّوجماتيّة وهم امتلاك الحقيقة، *http://www.mominoun.com/articles/* 31/ 01/ 2015، الاطّلاع عليه في 04/ 06/ 2016.

وتقنية في الإخراج، وفي ذلك وجه من وجوه تناقض الخطاب الدّيني بدعاته وداعياته في مستوى التّعامل مع الحداثة في بعديها الفكري والمادّي.

وإذ ينكر خطاب الدّاعيات مكتسبات الحداثة الفكريّة فإنّه لا يقرّ إلاّ بفكر واحد يقدّمه صوت واحد ذكوريّ بنبرات أنثويّة متعدّدة ينطلق من معطيات النصّوص الحرفيّة وما حفّ بها من نصوص أخرى محايثة ويتمسّك بالدّلالات التّي تجاوزتها الثّقافة وتخطّتها حركة الواقع حتّى وإن ادّعت صاحباته توخّي مناهج العلوم الإنسانيّة الحديثة من تاريخ واجتماع وتربية[1]. ويكشف بذلك " بعده الأيديولوجي بشكل واضح (...) على جعل العلاقة بين الله والإنسان محصورة في بعد " العبوديّة"، والعبوديّة تستدعي مقولة "الحاكميّة" التّي تتأسّس عليها وجوديّا ومعرفيّا (...) في تكبيل الإنسان بكلّ أنماط القيود التّي تجعله قابلا لأيّ نظام اجتماعي، سياسي يستنزف قواه ويقضي على إنسانيّته"[2]. ويكرّس بذلك سلطة " كهنوتيّة" تمثّل المرجع الأوّل والأخير في شؤون الدّين والعقيدة[3]، وفي تسيير البلاد والعباد ولا تقدر المرأة ذاتها أن تفكّر خارجها حتّى وإن لم تجد فيها ما من شأنه أن يرتقي بوضعها، بل نرى أنّها تذعن لها وتسلّم بقراراتها.

وعليه فإنّ الخطاب الإعلامي الدّيني النّسائي حول المرأة لا يمكنه أن يرتقي في تقديمه لوضع المرأة وصورتها إلى درجة القطع مع القالب القديم الذّي وضعت فيه أو التدبّر في شأنها والارتقاء بقضاياها إلى مستوى المساواة بين الجنسين والتّمكين الاجتماعي والثّقافي والاقتصادي والسياسي[4]، وإنّما نجده يهادن السّائد والقارّ، ينتفع براغماتيّا ممّا قد يخدمه من الحداثة تكنولوجيّا، ويرتبط في آفاقه بزاويتي نظر لا يحيد عنهما، الأولى تثيب المرجعيّة الأصوليّة والثّانية تدين المكتبسات الفكريّة الحداثية. ويستحيل الخطاب بين هاتين المرجعيّتين في الفضائيّات الدّينيّة المتخصّصة بمضامينه الدعويّة والتربويّة الأخلاقيّة خطابا سلطويّا تسليميّا إذعانيّا[5]، " يعتبر نفسه حكما ومقياسا لأنواع الخطابات الأخرى (...) يؤدّي أحيانا إلى الغرور والتّعالي

---

[1] – أُنظر/ي في ذلك برنامجي رفيدة الحبش وإلهام شاهين ومنحاه التّاريخي، وبرنامج بيان الطّنطاوي ذا المنحى الاجتماعي وبرنامج نسيبة المطوّع وبعده التّربوي النّفسي.

[2] – أبو زيد (نصر حامد)**: نقد الخطاب الدّيني**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2007، ص 222.

[3] – أبو زيد (نصر حامد)**: المصدر السّابق**، ص 32.

[4] – وقد تعرّض الخطاب الإعلامي الدّيني النّسائي إلى نقد بعض الباحثات، أُنظر في ذلك الموقع الإلكتروني التّالي الشمري (سعاد): " خطاب الدّاعيات"، *http://www.alweeam.com.sa/183499، 16/ 2/ 2013، وقد* جاء ذلك في حلقة جديدة من *برنامج* حراك ناقش فيها الإعلامي عبد العزيز قاسم قضية ...، الاطّلاع عليه في 18/ 07/ 2015.

[5] – حنفي (حسن): " تحليل الخطاب"، **تحليل الخطاب العربي (بحوث مختارة)**، ص 22.

والتّعصّب ولا يقبل الحوار لأنّه خطاب أخلاقيّ يعتمد على سلطة القائل وإرادته. لا يحتاج إلى مقاييس للصّدق إلاّ من صدق القائل[1]. فلا يستوعب حينها جميع التّغييرات الحاصلة في حياة الفرد والمجموعة وفي العالم عموما. ويعنيه من كلّ ذلك العمل على الاستجابة إلى معايير الاستقطاب الإعلامي ومقاييس المشاهدة، لا سيما حينما تكون المناسبة شهر رمضان وما يستدعيه من التفاف حول الفضائيّات الدّينيّة ومن حضور للبعد الدّيني بشكل مكثّف[2]، فيغّلب الموعظة الدينية والدّرس التربوي الأخلاقي بأسلوب الإثارة والتشويق وملامسة الوجدان[3] دون أن يؤسّس بالفعل لخطاب التّجديد ولا سيما في مستوى تعامله مع قضايا المرأة والتّمكين.

الخاتمة:

نتبيّن ممّا تقدّم أنّ المرأة العربيّة فرضت حضورها في مجال الإعلام الدّيني، وأكّدت جدارتها فيه ومنافستها لأعتى الدّعاة الرّجال الذّين سطوا على المنابر الإعلاميّة واستأثروا بقنواتها الفضائيّة، بل ونجحت في تسويق خطاب رفعت فيه من نسب المشاهدة والإقبال على برامجها من قاعدة جماهيريّة عريضة. إلاّ أنّ حضورها في المقابل ألّب عليها بعض الشّيوخ الدّعاة ممّن أدانوا تجربتها من حيث الشّكل والمضمون، فشوّشوا عليها برامجها دون أن يعطّلوا من دفق عطائها الإعلامي أو يمنعوها من الحضور في المشهد الإعلامي الدّيني. وفي إطار دراستنا للحضور النسائي في هذا المشهد الإعلامي وقفنا على أنّه يخضع للنمط المقنّن للحضور النّسائي في الفضاءالخارجي وأمّا خطابها فلم ينفلت ممّا طبع به من تمثّل للمرأة المسلمة لم يخرجها عن القبضة الذّكوريّة المتوارثة، ووضعت فيه نصب أعيننا معظم هؤلاء الداعيات صورة للمرأة مشتقة في عمومها من أدبيات وكتابات جماعة الإخوان المسلمين من السلفيّة والوهابيّة، ويتمّ توارثها بين الدّاعيات بتلك الطّريقة في ترديد للخطاب السلفي بأحكام حجبه وتراتبيّته في التّعامل مع مشاغل المرأة ويقع تكريسه عن طريق تأهيل الدّاعيات له وإمضائه بالشّكل الذي هو عليه[4].

---

[1] – **المصدر نفسه**، ص. ص 22– 23.

[2] – ولو أنّ هذا الشّهر يفضح تناقض المسلمين بين النّظري والممارسة، أُنظر في ذلك الموقع الإلكتروني *http://ar.lemaghreb.tn*، قرامي (آمال): " وهم امتلاك الحقيقة"، " ترسّخ في المتخيّل الجماعي أنّ شهر رمضان هو شهر المغفرة والتوبة والتسامح والتنافس في فعل الخير وتهذيب السلوك... ولكن شتّان بين ما تضمّنته النصوص الدينيّة من توصيات وتصورات وما نعاينه من تصرّفات وممارسات في مختلف الأفضية : في المؤسسات الرسمية"، 17/ 06/ 2016، الاطّلاع عليه 18/ 06/ 2016.

[3] – أُنظر *إي* الموقع الإلكتروني التّالي: كشميم (غازي): " الخطاب الدّيني يدين الحداثة ويتسامح مع مكتسباتها".

[4] – أُنظر *إي* في ذلك: *http://www.saigonanswer.com/media/ ،www.saigonanswer.com/media/الداعيات-الى-الخير-* 23 juin 2015*رمضان* شهر الخيرات . ... جرافيك *برنامج* تأهيل *الداعيات* 2011 – أحد أعمالي المتواضعة و بدايتي مع *برنامج* الـ ... 28 / 05/ 2015، الاطّلاع عليه في : 18/ 07/ 2015.

وتقدّم الدّاعيات جميعهنّ في برامجهنّ وإن بدرجات متفاوتة خطابهنّ حول المرأة وقد استوعبن الصّورة النمطيّة للهويّة الأنثويّة المكبّلة بترسانة العادات والأعراف وكثرة المحظورات والمحرّمات في إطار فهم للدّين لا يقرّ له بديناميكيّته اللاّزمة وتفاعله مع مستجدّات العصر وفي سياق إدانة لمكتسبات الحداثة الفكريّة، إذ لم يتمّ بعد مع خطاب الدّاعيات حسم النّقاش الفكري والقانوني إزاء إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة[1]، ولكن وقع في مقابل ذلك استثمار مكتسبات الحداثة والعولمة التّقنية في سبيل تقديم برامجهنّ بأرقى التقنيات التّكنولوجيّة واللّوجستيّة. ولم يكتف الخطاب بالمشاركة والدخول في هذا المضمار فحسب بل شرع في المنافسة مع البرامج الأخرى بنفس الشروط وحتّى المقاييس في الإثارة والتسويق. وذاك لعمري من أغرب طرق التّعامل مع الآخر في منتجاته ومكتسباته، إذ يعكس إشكالا حضاريّا في الفكر العربي المعاصر وفي تعاطيه مع الفكر الغربي.

وفي إطار السّعي إلى تجديد الخطاب الديني من أجل خطاب إعلامي نسوي ديني جديد والارتقاء به إلى الخطاب المأمول حتّى تؤدي عملية الاتصال دورها بصورة فعالة فإنّ ذلك يتطلّب أوّلا أن تكون الرسالة وهي مضمون الخطاب الديني ذات بعد عقلانيّ موضوعيّ تستثمر آليّات المعرفة وجملة العلوم الإنسانيّة التّي تهب للخطاب الدّيني بعدا تأويليّا يجعله يحيا في الحاضر لا أن يحيي الماضي فيه. وثانيا أن يكون المرسلون من الدّعاة والدّاعيات على وعي بضرورة فهم الخطاب الدّيني فهما جديدا يستوعب ما يدور على الساحة الدولية حتى يكونوا قادرين على التعامل مع الرأي العام العالمي، والتعاطي مع الشّأن النّسوي بانفتاح لا انغلاق، ففي غيبة دعاة من هذا المستوي لا يوجد أمل[2] في إحداث النقلة النوعيّة الضّروريّة مع ذهنيّة الفكر الدّيني وابستيميّته القديمة، ويبدو أنّه قد آن الأوان لدعاة الفضائيّات الدّينيّة وداعياتها أن يمنحوا خطابهم الدّيني سنّة التجديد الحقيقيّة هو في حاجة إليها أكثر من ذي قبل.

[1] – إدناصر (العربي): منازل المرأة بين المخيال الفقهي والمقاصديّة الجديدة، مؤمنون بلاحدود للدّراسات والأبحاث، مفئة المقالات المحكّمة، ص. ص 1– 14، ص 26. الموقع الإلكتروني *http://www.mominoun.com/pdf1/*، 05/ 12/ 2014 الاطّلاع عليه 03/ 06/ 2016.

[2] – أُنظر/ي الموقع الإلكتروني التّالي: كشميم (غازي):" الخطاب الدّيني يدين الحداثة ويتسامح مع مكتسباتها".